وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم : اللغة
والادب العربي.

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص : أدب جزائري

جماليات المكان في شعر المولديات
"أبو حمو موسى الزياني" – أنموذجا

إعداد
الأستاذ : يزيد مغمولي
- فطيمة بوترعة
- ندى هرباجي

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة
عبد المجيد بدراوي	أستاذ محاضر (ب)	رئيسا
يزيد مغمولي	أستاذ مساعد (أ)	مشرفا ومقررا
بشرى الشمالي	أستاذ مساعد (أ)	ممتحنا

السنة الجامعية : 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» - التوبة 105
صدق الله العظيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وآله ومن وفى، أهدي ثمرة جهدي التي أينعت، وحان قطافها، طوال هذه السنوات ...

إلى من علمني العطاء بدون انتظار، والدي العزيز، أرجو من الله أن يمد في عمرك، وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وغدا وإلى الأبد ... أبي الغالي "صالح"، وإلى معنى الحب والوفاء والحنان إلى بسمة حياتي أمي الغالية، والتي كان دعاءها سر نجاحي، إلى من وقرها الله في كتابه العزيز، ووضع الجنة تحت قدميها، أهديك ثمرة جدي يا بطلتي، ومعلمتي أمي الحبيبة "مليكة" ...

إلى توأم روحي ورفيقة دربي أختي الغالية "رجاء" في نهاية مشواري الدراسي، أقدم لك أسمى عبارات التقدير على مواقفك النبيلة التي تطلعت لنجاحي بنظرات الأمل، إلى توأم روحي وضلعي الثابت، إلى صاحب القلب الطيب والنوايا الصادقة، والتطلع لنجاحي، أطال الله في عمرك يا سندي أخي الغالي "أمين"، إلى أخواتي اللواتي لم تلدهن أمي، إلى من تحليْنَ بالإخاء وتميزْنَ بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي في وقت فرحي وحزني، صديقاتي أميرة ،أحلام، صونيا، نور الهدى، وزميلتي في هذا البحث أختي الغالية "فطيمة" موفقين بإذن الله العلي القدير .

ندى

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز من في الكون بعد الله عز وجل:

إلى روح أبي الزكية الطاهرة رحمة الله عليه

إلى أمي وأمتي ومأمني وأماني وأغلى ما أملك

حفظك الله يا غالية

إلى أخوتي: سميرة ، وسام ، وهيبة ، وريمة

إلى كتاكيت البيت ...

إلى خطيبي وكل العائلة ...

إلى صديقاتي الحنونات ...

إلى كل الذين أحببتهم وأحبوني بنبضة صادقة.

فطيمة

شكر وعرفان

بعد رحلة بحث والجهد والاجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث، فالشكر لله تعالى في البدء والمنتهى على نعمه وهو العلي القدير
أما بعد ...

يسعدنا في مستهل هذا العمل أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف يزيد مغمولي، شكرا أستاذي الفاضل لم تبخل علينا بالمعلومات ووقتك الثمين أطال الله في عمرك وستبقى نصائحك وتوجيهاتك نصب أعيننا اليوم وغدا وإلى الأبد، وجعلك الله خير ذخر لأهل العلم والمعرفة، جزاك الله عنا ألف خير.
كما نتقدم بعظيم الشكر إلى الأساتذة المناقشين لهذا العمل على صبرهم في قراءتهم وتصحيح لما فاتنا، ونتقدم بخالص عبارات التقدير والعرفان لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، أدامكم الله ذخرا للعلم.
وأتمنى أن ينال هذا البحث المتواضع استحسانكم، وما توفيقنا إلا بالله الحكيم العليم.

مقدمة

شهد تاريخ الأدب الجزائري على مر العصور محطات حافلة بالتنوع والازدهار والرقي في المجال الثقافي عامة والأدبي خاصة، المطّلع على هذا التاريخ يجد أن عهد دولة بني زيان التي أقامها الأمير والسلطان أبو حمو موسى الزياني في إقليم تلمسان، هو من العصور الذهبية التي بلغ فيها الأدب الجزائري أوج أيام ازدهاره؛ ولاسيما في الشعر الذي تنوعت أغراضه ومواضعه. ومن بين هذه الظواهر الأدبية التي شاعت في ذلك العصر- ليس في الدولة الجزائرية فقط بل في بلاد المغرب الإسلامي كله وحتى بلاد الأندلس - ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي تبناه شعر يسمى شعر المولديات.

شعر المولديات باب واسع من أبواب المديح النبوي، وهو ذو ألوان متغيرة، نابعة من الحكمة الصادقة التي تعبر عن حياة راقية وحالات نفسية رائعة، وحب نبوي صادق ورفيع. ويعد المديح النبوي فرعا أساسيا فيه من جهة، وقسما من المديح الديني من جهة أخرى. فهو ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخَلقية والخُلقية وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره، والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

شعر المولديات وجماليات المكان أمران يبعثان في النفس متعة وفي الفكر لذة، ومنه جاءت هذه الدراسة التي خصصنا بها موضوعنا موسومة بـــــ : (**جماليات المكان في شعر المولديات - "أبو حمو موسى الزياني" أنموذجا**).

إن موضوع المولديات موضوع واسع وشامل، تبعا لطبيعته، وكان لابد من التطرق لدراسة جماليات المكان، كما رأينا أنه من الدقة والوضوح أن نحصر هذه الدراسة في شاعر من الشعراء الجزائريين الذين نظموا في هذا

الموضوع قديما. فوقع اختيارنا على مولديات "أبي حمو موسى الزياني".

وتكمن أهمية هذا البحث في استجلاء إرث أدبي، وحضاري عريق، ومدى أهمية الاحتفال بالمولد النبوي في العهد الزياني، وكيفية تجليات الجمالية المكانية في مولديات "أبي حمو موسى الزياني".

ولا ندّعي حق السبق في هذا المضمار، فقد سبقنا العديد من الباحثين إليه، فمن أهم الدراسات السابقة التي لامست موضوعنا أو مدونته من قريب أو من بعيد نذكر أهمها:

- واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الزياني الثاني (دراسة أسلوبية)، وهي رسالة دكتوراه للباحثة سهيلة بلعيدي، عن جامعة محمد خيضر بسكرة لسنة 2019.
- البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، وهي رسالة ماجستير للباحثة فدوى أسماء عن جامعة وهران لسنة 2015.

وقد زودتنا هذه الدراسات بالكثير من المفاهيم النظرية والآليات الإجراءات، ناهيك عن مجموعة المصادر والمراجع المفيدة.

ويتجلى الهدف من هذه الدراسة في إضافة لبنة علمية جديدة إلى صرح الثقافة العربية والإسلامية عموما، والثقافة الجزائرية تحديدا.

وإذا كان لكل دراسة أسباب ودوافع، فقد حركتنا تجاه هذا الموضوع دوافع ذاتية وأخرى الموضوعية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هي:

ـ رغبتني في إحياء التراث الجزائري القديم لأنني أنتمي إلى دفعة تخصصت بالأدب الجزائري القديم.

ـ إزالة بعض الغبار على كنوز التراث وإضافة قدرا من الفائدة للباحثين المهتمين.

ـ رغبة الإبحار في " التراث الجزائري" لاستكشاف كنوزه الثمينة المضمرة.

ولقد تمحورت إشكالية هذا الموضوع حول دراسة جمالية المكان في مولديات أبو حمو موسى الزياني، حيث تثار في هذا المقام عدة تساؤلات أهمها:

ـ ما هي المولديات؟ وأين تجسدت ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي؟ وما هي تجلياتها في الأدب الزياني؟

أما السؤال المحوري الثاني فيتعلق بجوهر بحثنا في أيقونة المكان، فكيف تجلى المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني؟ وفيم تمثلت جمالياته في شعر هذا العلم الزياني؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فكان المدخل بعنوان **السياق التاريخي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، حيث تناولنا فيه السياقات الحضارية لدولة بني زيان وعرّفنا بالشاعر أبي حمو موسى الزياني.

أما الفصل الأول الموسوم **بالمولديات في الأدب الزياني** فقد وقفنا فيه عند مبحثين اثنين: الأول تحت عنوان ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي، والثاني بعنوان فن المولديات في الأدب.

وخصصنا الفصل الثاني **لجماليات المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني؛** حيث يحتوي هذا الأخير على مبحثين، فالأول موسوم **بالجمال والجمالية المكانية**، أما الثاني تحت **تجليات المكان في مولديات أبو حمو موسى الزياني.**

وأنهينا البحث بخاتمة أوردنا فيها جملة من النتائج التي توصلنا إليها، ثم أعقبناها بقائمة المصادر والمراجع التي أمدتنا بالمادة العلمية المطلوبة. وكان اعتمادي في هذا البحث على مقاربة تكاملية بين المنهج الوصفي وآليات التحليل والاستنتاج.

هذا وقد صادفتنا في سبيل إنجاز هذا العمل الأكاديمي جملة من الصعوبات لعل أهمها ضيق الوقت، وقد استفدت في هذا البحث من الدراسات

السابقة التي كان لها الفضل الكبير إماطة اللثام عن الشعر الجزائري القديم وأهمها:

- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره لعبد الحميد حاجيات.
- تاريخ الأدب الجزائري القديم لمحمد الطمار.
- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، لمحمد التنسي

ومع أن هذا البحث، لا يعد إلا إسهاما بسيطا في خدمة تراثنا الجزائري، فحسبي أننا اجتهدنا وأخلصنا النية فيه، ونرجو أن يقارب هذا البحث المستوى المأمول وينال تقدير القائمين على البحث العلمي في جامعتنا الموقرة.

أخيرا أسأل الله تعالى ـ بعد حمده وشكره ـ السداد والتوفيق،

المدخل

السياق التاريخي والحضاري لدولة بني عبد الواد (الزيانية)

أولا: السياقات الحضارية لدولة بني زيان

ثانيا: أبو حمو موسى الزياني

مدخل = السياق التاريخي والحضاري لدولة بني عبد الواد "الزيانية"

أولا= السياقات الحضارية لدولة بني زيان

1 - السياق التاريخي

الزيانيون هم بنو زيان أو بنو عبد الواد، سلالة من قبيلة زناتة الأمازيغية، حكمت في الجزائر ما بين 1235م و1554م وعاصمتهم تلمسان، تمتد حدود دولتهم من تخوم بجاية وبلاد الزاب شرقا، إلى وادي ملوية غربا، ومن ساحل البحر شمالا إلى إقليم توات(*) جنوبا، لم تكن هذه الحدود ثابتة بل كانت تتعرض للمد والجزر بسبب وقوعها بين دولتين قويتين ألا وهي الدولة الحفصية (تونس حاليا) والدولة المرينية (المغرب حاليا). وقد عمل جميع الحكام الذين حكموها على توسيع حدودها، وتمكن "يغمراسن" من التوسع غربا[1].

ويعدّ المغرب الأوسط أو كما تسمى حاليا الجزائر، منطقة عامرة بالسكان تجمع بين ثلاث شعوب عظيمة مختلفة، صنهاجة وكتامة وزناتة[2]. والجدير بالذكر أنّ الأمازيغ هم أول الأجناس التي استوطنت شمال إفريقيا، بما فيها المغرب الأوسط، «ومن الخصال التي يتميز بها البربري الاعتزاز والافتخار بأصله، ومعرفة معنى الحرية وصولا إلى درجة تقديسها، رافضا بذلك كل أنواع الظلم والاستبداد، مدافعا عن عرضه والأرض التي ترعرع وعاش فيها، ولقد صوره لنا التاريخ

(*) - توات: هي إقليم يقع في المنطقة الغربية للصحراء الجزائرية، جنوب غرب العرق الغربي الكبير بالتحديد في ولاية أدرار.

1 - واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياني، (دراسة أسلوبية)، رسالة دكتوراه علوم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019-2020، ص8.

2 ـ محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ دط، ص7

محاربا شجاعا، مقداما محبا للعمل، نجده بكثرة في الجبال ومناطق الصحراء»[1].

أما المجتمع الزياني فهو ذو حضارة عريقة، بطبيعة الخيوط المتنوعة لنسيج المجتمع العبد وادي من أعراق أمازيغية وعربية، ووافدين من بلاد الأندلس ومسيحيين وأفارقة. كل تلك الأجناس كانت تملك عادات، وتقاليد، وثقافات مختلفة. وربما هذا المزيج بين الفئات الاجتماعية هو ما جعل تلمسان مركزا تلتقي فيه الطرق التجارية. وتعد هذه الأخيرة بمثابة الركن الأساسي بما فيها من زراعة وصناعة تقليدية، فكانت صناعتهم تمتاز بالإخلاص والإتقان في العمل، إضافة إلى الصدق في المعاملة، وقد كان لهذه المواصفات الأثر الإيجابي في فسح المجال لوفود التجارة من كل حدب وصوب، وهذا ما جعل مدينة تلمسان في حالة انتعاش تجاري منقطع النظير. إضافة إلى ذلك فقد كان لهذا التواصل والتبادل التجاري الأثر الحضاري وإنعاش الاقتصاد الزياني، وكافة شرائح المجتمع. ومن هنا نستشف أنه وبالرغم من كل الشدائد والهزائم التي عانت منها الدولة الزيانية، إلا أنها استطاعت أن تقاوم، وتقف في وجه كل الصعوبات بفضل هذا الرخاء الاقتصادي في مدينة تلمسان وما جاورها، نظرا لهذا الاحتكاك الإيجابي لمختلف شرائح المجتمع[2].

ويرجع هذا الرخاء المحقق والرواج التجاري في المجتمع الزياني في الأساس إلى أن طبيعة تلمسان فلاحية قبل كل شيء بطبيعة أرضها، حتى أنه يمكننا القول بأنها يمكن أن تمد من نتاجها الزراعي لأهالي المدن المجاورة ورواج

---

1 ـ المرجع نفسه، ص8.

2 ـ مناخ أمينة، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدائح النبوية خلال العهد الزياني ـ ديوان الثغري التلمساني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة أم البواقي،1432 - 1433هـ، ص13

تجارتها هو الآخر يعود في الأساس لأهمية موقعها الاستراتيجي[1].

2 ـ السياق السياسي

يتضح جليا حسب اطلاعنا على تاريخ الدولة الزيانية أنها دولة ذات حدود مطاطية وهذا الاتساع والانتشار، هو ما جعلها محل عدوان دائم لكنها تنهزم أحيانا وتقوم، وتتحرر في الحين الآخر. ولعل الدافع القوي لهذا النهوض بعد كل ما يمر بها من انكسارات هو محافظة مؤسسها "يغمراسن" على كيانها. وتجدر الإشارة إلى أن بني عبد الواد هم من حلفاء الموحدين، وكان لهذا الحلف الأثر الإيجابي كون مؤسسها "يغمراسن" رأى أن تزعزع الدولة الموحدية سيؤدي لا محال إلى ضياع السلطة المحلية، فتم له إعلان استقلاله، ثم إن استقلال بني عبد الواد تزامن مع إعلان الوالي الحفصي استقلال الدولة الحفصية[2].

2 ـ السياق الثقافي

عاشت تلمسان حياة سياسية مضطربة نوعا ما في فترة من فترات تاريخها الزياني، لكن هذه الاضطرابات لم تؤثر على النشاط الثقافي في المدينة، بل حافظت على توازنها ونموها حتى في أصعب ظروفها، بالرغم من انتشار الفتن، هذا ما أدى إلى ظهور السحر والشعوذة، إضافة إلى هجرة علمائها إلى الخارج لكن بداية القرن الثامن هجري كان بداية للنهضة ثم بعد ذلك جاءت نتيجة

1 ـ ينظر، محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص108.
2 ـ محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص107.

ثمار القرن الثامن هجري مباشرة في القرن التاسع[1].

ولعل من أهم من نشطوا الحركة الفكرية في تلمسان هم أولئك النازحين الأندلسيين، الذي كان لهم الأثر الفعال والبارز في تنشيط الحركة الفكرية والأدبية بتلمسان، فهم ذوو سعة علمية وأدبية بالغة، وبالتالي يمكننا القول إن جهود الأندلسيين في نشر ثقافتهم وسط حضائر الدولة الزيانية ساعد في تطور وازدهار الثقافة في العهد الزياني، علاوة على ذلك فقد كان لأولئك النازحين إسهام كبير في نشر حركة التعريب في جميع أنحاء القطر الجزائري.

ساهم كل من بني حفص وبني مرين وبني زيان في تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم فاختلفت المناظرات العلمية وتطورت الفنون في المغرب العربي[2].

ومما ساعد على تنشيط الحركة الثقافية في الدولة الزيانية، نجد في مقدمتها عامل تشجيع السلاطين الزيانيين للعلم ومحبة وإكرام العلماء، فقد أسس بنو زيان مدارس وزوايا من أجل طلبة العلم المرابطين بجوار مسجد تلمسان، «ومن ألمع شخصيات سلاطين بنو زيان الذين اشتهروا يوسف بن تاشفين الذي شيد المدرسة التاشفينية بجوار الجامع الأعظم إلى الجهة الجنوبية منه عام 718هـ، كانت المدرسة التاشفينية من أروع وأجمل المدارس الزيانية التي كانت تؤدي رسالتها العلمية والتربوية حتى نهاية القرن التاسع عشر، وقبله أبو حمو موسى الأول وكان أكثرهم تواضعا للعلم خادما له محبا لأهله الذي قام بتأسيس مدرسة كشوط بحي المطهر عام 710هـ التي واصلت نشاطها

1 ـ ينظر، هادي جلول، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها (ق8 -9ه/ 14-15م)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية قسم العلوم الإنسانية، العدد19، جانفي 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص80

2 ـ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص108.

التعليمي إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر هجري والتاسع عشر ميلادي الفقهي وتيار وأدى تزاحم النشاط العلمي والفكري الذي يحتوي على كل من المساجد والمدارس والزوايا بتلمسان، خلال القرن الهجري التاسع، إلى ظهور تيارات ثقافية وفكرية كان لها أثرها الظاهر أشهرها: تيار الاجتهاد الفقهي وتيار التصوف السني»[1].

شجع سلاطين الدولة الزيانية العلماء وبجلوهم، تشهد على ذلك كتب التراجم وكتب التاريخ ككتاب "نظم الدار والعقيان" لمحمد التنسي الحافلة بأخبار المدارس وأخبار حفاوتهم بالعلماء، وتكريمهم، بل حتى حضور جنائزهم. كما نقلت لنا الكتب المناظرات الشعرية التي كانت تنظم من طرف الملوك كل عام عند حلول ليلة المولد النبوي الشريف. وكان "يغمراسن" راغبا في العلم، يجالس الصلحاء ويزورهم، كذلك ابو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي هو أول من عمل على تشجيع الحرية الفكرية والحرية التعليمية بتلمسان. كما اهتم بالمذهب المالكي، وأمر ذريته أن يتبعوا ذلك النهج الذي رسمه لدولة بني عبد الواد، من أجل أن تكون مصدرا للعلم والعلماء، يأتونها طلبا للمعرفة والعلوم المختلفة في جميع المجلات[2].

كما عمل السلاطين الزيانيين على تمتين العلاقات مع الأندلس ومصر وذلك لحسن ظنهم أن هذا الارتباط يحقق الأثر الإيجابي وترسيخ الانفتاح للثقافة الزيانية. وتجدر الإشارة أن جامعة الأزهر كان لها الباب الواسع في العطاء العلمي آنذاك، خصوصا في ذيوع وإظهار المذهب

1 ـ الحسين يختار، الحياة الثقافية والعلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، جريدة الخبر، 2015/04/26 www.elkhabar.com

2 ـ هادي جلول، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها، مرجع سابق، ص81.

المالكي الذي كان مذهب أهالي المغرب. وفي هذا المقام لا يمكننا أن نتجاوز دور الأندلسيين وما تركوه من أثرا في ترسيخ الوعي الفكري والثقافي في تلمسان. هذا وقد احتلت العلوم الدينية في العصر العبد الوادي مكانة لا تضاهيها شتى العلوم، على اعتبار إقبال الناس على دراستها والتأليف فيها[1].

ومن أشهر المؤلفات العلمية والدينية آنذاك بالمغرب الأوسط نضرب مثلا كتب التفاسير، منها "لامية الشاطبي" و"تفسير ابن عطية" و"أنوار التنزيل" و"الكشاف" للزمخشري، أما كتب الحديث فنجد "الصحاح الست" و"عمدة سير النبي" لمحمد بن الحاوي. وفي ميدان علم الأصول كتاب "المستصفي" للغزالي، ومختصر بن الحاجب[2].

وعلى الرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها دولة بني عبد الواد و«انشغال أبي حمو الأول بالحروب؛ وتصديه لعبث القبائل المختلفة في ربوع بلاده؛ فانه لم يتجاهل المنجزات العمرانية، وإنشاء المؤسسات الثقافية، ورفع مراتب العلماء في مملكته؛ فهو الذي أنشأ في تلمسان المدرسة الشهيرة بمدرسة (ابني الإمام). وأسند خطة الكتابة في بلاطه للكاتب الشهير والأديب "ابن هدية"؛ بالإضافة إلى احتضان العلامة المتفنن "أبي عبد الله الآبلي". و بذلك يكون أبو حمو موسى الأول هو أول من اعتنى – من سلاطين بني زيان – بالأدب الرفيع ذي، والعلوم النقلية والعقلية، فحقق بذلك ازدهار تلمسان في عصره. ومما يجدر التنويه بيه في عصر أبي حمو موسى تراجع تهافت الناس على المتصوفة

1 ـ مناخ أمينة، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدائح النبوية خلال العهد الزياني، ديوان الثغري التلمساني.ص15

2 ـ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص39.

والدراويش، وحل محلهم أصحاب العلم والتنوير[1].

ومن أشهر العلماء الأعلام الذين عاصروا "أبا حمو موسى الأول" الإمامان:

- أبو زيد عبد الرحمن ابن الامام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الامام.
- أبو موسى عيسى ابن الامام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الامام.

وقد نال هذان الإمامان حفاوة وحظوة كبيرة؛ حيث ابتنى لهما " أبو حمو موسى" المدرسة المسماة باسمهما؛ وكان لهما في تلمسان خلف صالح بنفس الحظوة والحفاوة، منهم:

- العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبراهيم الآبلي
- أبو عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي.

ويعبر المؤرخ الجزائري محمد الطمار عن وضعية العلم والثقافة في دولة بني زيان قائلا: «قامت حركات علمية في بلادنا كان لها مراكز يأوي اليها الطلاب لكسب الشعر والأدب والفن والفقه والحديث والفلسفة، ونبغ في هده الفنون، كما سنرى بعد، علماء كبار وأهم هذه المراكز المسجد، وقد أسست مساجد في المغرب العربي منها مسجد القيروان ومسجد الزيتونة ومسجد تلمسان ومسجد القرويين، وكانت كلها زاخرة بالعلماء، حافلة بالدروس المختلفة»[2].

ويعتبر الكتاب من أهم أنواع المعاهد العلمية في العالم الإسلامي، يتلقى فيه الأطفال الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة، تأسس في النصف الأول من القرن الأول، وكان عبارة عن خيمة تضرب مع خيام الجيش، كما كان

1 - بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص203.
2 - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص19.

الولاة يأتون من الجزيرة العربية من أجل نشر تعاليم الدين والأدب والفقه.

ومن بين المراكز الأخرى التي نشأت للتعليم نجد الزاوية، برامجه أعلى من برامج الكتاب، تتكون هذه الأخيرة من جامع وغرف لمبيت الصغار ومكتبة. أما في القرن الرابع الهجري، فقد وُضع نظام للمدارس، تلتها في القرن الخامس الهجري ظهور المدارس بالجزائر[1].

وانطلاقا مما سبق، فإنّ تاريخ سلطان "أبي حمو موسى الثاني" سواء في مجال أدبه أو فكره وسياسته، واعتلائه مجالس العلم والفقه، يدلّ على أنّ للعهد الزياني مكانة رفيعة في طلب العلم والانفتاح على الآخر، «فقد ساس هذا السلطان أهل مملكته بالسيطرة الحسنة، وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى، وقسم أوقاته بين حكم يقضيه، وحق يمضيه، وعاق يرضيه، وسيف لحماية الدين ينضيه، وله من النثر الرائق والشعر الفائق ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك، ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك، فليقظة حربه نام عمر الحروب وفي هذا الرجل قال الشاعرّ»[2] :

قريب النبي المصطفى وابن عمه ووارث ما
شاءت قريش وعدنان
تولى فقامت للمعالي معال
وللخير أسواق وللعدل ميزان

وبالتالي فإن ملوك تلمسان وعلى رأسهم السلطان الزياني أبو حمو موسى قد أدّوا الدور الفعال في تنشيط الحركة العلمية والفكرية والثقافية.

كاد الرصيد الأدبي للدولة الزيانية يضاهي الرصيد التاريخي، حيث عرف الأدب في العهد الزياني تطورا خصبا، من حيث الكم والكيف.

---

1 - المرجع نفسه، ص20

2 - محمد بن الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، دط، تح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص160 - 161

ويرجع ذلك لعدة عوامل، أهمها وفرة أعلام العلم والفكر وتقريبهم للبلاط الزياني. كالكتّاب والشعراء السياسيين للدولة. بالإضافة إلى طبيعة تلمسان الرائعة التي أثرت فيهم، وكذلك الأحداث التي حدثت في تلك الفترة شحذت قرائح أهل القريض، وقد كان «الأديب والشاعر الصوفي المتفلسف محمد ابن خميس، والذي كان يتمتع بمكانة ونفوذ سياسي وأدبي في السلطة الزيانية، متهمين إياه بالكفر والزندقة والعبدري دافع فيها عن نفسه، ويبرئها بعدما وضعه المشرف على مناظرته ومحاكمته بفاس الفقيه الشريف أبو البركات»[1].

ثانيا = أبو حمو موسى الزياني الثاني

لا شك أن الحديث عن تلمسان يسوقنا للحديث عن أشهر ملوك بني زيان، الشخصية التي حظيت بها الجزائر عامة وتلمسان خاصة، هو أبو حمو موسى تلك الشخصية الطموحة والملك المقدام، أحد ملوك بني زيان تولى مهمة بعث دولة أجداده من جديد وافتكاكها من يد مستعمرها بني مرين، كان له طموح كبير، وأحلامه أكبر من أن تعيقها حدود، قد وصفه كاتب دولته «أنه قد اجتمعت فيه جملة صفات قلما تجتمع في رجل واحد، هو ملك أحب عاصمة دولته ودار حضرته، فهي ذات تاريخ عريق ومكانة مرموقة بين العواصم الثقافية»[2].

1 - أصله ونشأته

«يتصل نسب أبي حمو موسى الثاني بمؤسس الدولة العبد وادية "يغمراسن بن زيان"، فهو: أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد

---

1 - هادي جلول، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها(ق8 - 9 ه/14 -15 م)، ص83

2 - سهيلة بلعيدي، واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياني (دراسة أسلوبية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2020، ص24.

الرحمان ابن يحي بن يغمراسن بن زيان، ولم تكن الإمارة في أحد من أسلافه بعد يغمراسن»[1].

وتورد كتب التاريخ أنّه « ولد بالأندلس، في مدينة غرناطة، عام 723هـ، ونشأ بتلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء، فعرف حياة البلاط، وما تشتمل عليه من أبهة وترف وحفلات، وقد درس على يد أشهر العلماء، فنال من العلم حظا وافرا مكنه من تحصيل مبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية، يقول عنه عبد الرحمن الجيلالي: وكانت نشأته (أي أبو حمو) بتلمسان، آخذا بحظ وافر من علم، وأدب وسياسة، وحزم، وسداد رأي، وفروسية، وكان شاعرا معلقا له القصائد الغراء الطويلة، فما كانت تمر ليلة من ليالي ذكرى المولد النبوي الشريف، إلا ونظم فيها قصيدا جيدا»[2].

وانطلاقا من هذا المنهل الذي انبت أبو حمو موسى منبت جيد، أهله على أن يكون مثالا يُقتدى به، فقد عمل على تشجيع العلماء، بالإضافة إلى أخلاقه الكريمة وبر والديه، وتربية أولاده والعمل على ثقافتهم، كل هذه هذا انعكس على إبداعاته الأدبية عامة والنثرية خاصة، "كان الاستلاء المريني على تلمسان، سنة (737هـ)، عندما بلغ أبو حمو الرابعة عشر من عمره كان قد عرف آلام الاغتراب، بفاس، صحبة أبيه وكثير من أبناء قبيلته، وقضي قسطا وافرا من شبابه هناك، وقد ذكر أبن الأحمر في كتابه "روضة النسرين" أنه أدرك أبا حمو بفاس، وهو يسكن بها في عين أصليتن، يتعيش برد الفك للمفكوكين، وذلك في دولته المولى أبي الحسن

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 69.

2 - برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الثاني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2009-2010، ص 2.

المريني، وقد يكون ذلك في آخر مقام أبي حمو، أي حوالي سنة (745هـ إلى 750هـ).

أما عن إقامة أبي حمو، مند (737هـ)، «فلسنا نعرف شيئا وقد يكون وجه نشاطه، في هذه المدة لطلب العلم، ولاسيما أن فاس كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، آنذاك، وكان فيها الكثير من العلماء المشهورين ومن بينهم الآبلي، الذي سبق ذكره فيما قبل»[1].

وبقي أبو حمو مع والده بندرومة، وعاش فيها معه بعيدا عن الاضطرابات السياسية، مقتديا بآثار والده في السكون والدعة. وتزوج في تلك الفترة فرزق بولد سنة (752هـ)، سماه (أبا تاشفين)، وهو أكبر أبنائه، وقد يراود ذهن القارئ سبب هذه الإقامة الأب وابنه بهذه المنطقة، بعيدا عن العاصمة، والبذخ والترف ومعاهدها العلمية، ويرجع ربما عبد الرحمان ابن خلدون وأخوه يحي، فإنهما لرغبة والده أبي يعقوب في الزهد والعكوف عن زخرف الدنيا[2].

2 - أدبه (شعر – نثر)

لقد خلف أبو حمو الثاني آثارا أدبية تنبئ عن ثقافة عربية لا يستهان بها، تعطينا فكرة صادقة عن الذوق الأدبي الذي كان سائدا في عهده بالمغرب الأوسط ويظهر هدا خلال أثاره النثرية والشعرية التي سنأتي على وصفها إجمالا مركزين على ما تتميز به من حسن الانسجام وجميل الإيقاع ورقة الألفاظ وعذوبتها.

أ - **نثره :** يعدّ كتّاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" أهم أثر لأبي حمو. وهو كتاب نثري تتخلله قصائد، وقد أودع فيه آراءه السياسية، وقسمه إلى أربعة أبواب، الباب الأول فيه نصائح عامة وجب على الملك مراعاتها، والباب الثاني يحتوي على قواعد الملك وأركانه وهي أربعة :

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، ص 73.
2 - ينظر، المرجع السابق، ص73.

العقل والسياسة والعدل والاعتناء بجمع المال والجيوش، أما الباب الثالث يتضمن تحليلا للأوصاف المحمودة التي يستقيم بها الملك وهي الشجاعة والكرم والحلم والعفو، والباب الرابع فقد خصصه أبو حمو للفراسة ويشتمل على دراسة نفسية لهيئة الناس والاستدلال بظاهرهم وسمة وجوههم عما يجول في ضمائرهم، والوسائل التي يمكن بها اختبارهم والوصول إلى ما يكنه باطنهم وخصوصا السفراء الدين يفدون من البلدان الأخرى أو الرسل الدين يبعثهم العدو لإبرام الصلح لكن في النهاية نجده يتوجه لأبنه ببعض النصائح والتوجيهات منها التحلي بمكارم الأخلاق ومساعدة المسلمين في جهادهم ضد النصارى وأخيرا يهيبه للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وإلى نظم المولديات، وقد أورد أبو حمو في كتابه بعض المولديات[1].

ب - شعره : لقد حفل مسار أبو حمو موسى الشعري بأشعار ينظمها كلما جاشت قرائحه وعواطفه وكلما يختلج فؤاده فكان شعره بمثابة سجلاً للمواقف الحاسمة التي يعيشها في حياته. و «لم يصلنا، حسب عبد الحميد حاجيات في كتابه "أبو حمو موسى الثاني، حياته وآثاره" من القصائد، والتي جمعها من كتب المؤرخين لدولة بني زيان، مثل " بغية الرواد " و"زهر البستان" و "نظم الدار والعقيان" إلا البعض منها والتي تبلغ الواحد والعشرين قصيدة، تحتوي على ما يقرب الألف بيت شعري تتناول أغراضا مختلفة كالفخر والحماسة والرثاء ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد قيلت هذه القصائد في مناسبات خاصة، «أراد أبو حمو أن يعبر فيها عن عواطفه، كبعض المواقف السياسية التي كان يحقق فيها

1 - ينظر، برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الزياني، ص4.

الانتصارات، أو عندما كان يخذل من طرف أعوانه، أو عندما تخالجه ذكرى أبيه فيرثيه، دون أن ننسى الأبيات التي نظمها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، كل هذه القصائد تطفح بالروح الصوفية، لما فيها من إعلاء للنفس البشرية، والسمو بها عن مطارح الدنس»[1].

يمضي "أبو حمو" في بناء إبداعه على نفس طريقة القدماء، كوصايا ذي الأصبع العدواني، وعلى نهج القصيدة العمودية وكذا الموشحات الأندلسية، ويتناص كثيرا مع أعمدة الأدب العربي القديم، وكذلك القرآن الكريم والحديث الشريف، الأمثال والحكم التي نجدها واضحة بقوة في نصوصه، وعلى العموم فإن هناك خصائص عامة بين نثره وشعره تكمن في البديع والاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والإطناب وجمال اللفظ[2].

3 – **مؤلفاته**: من مؤلفاته

- كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"
- أكثر شعره موجود بكتاب "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، لمحمد بن عبد الله التنسي التلمساني.
- قصائد طوال وأشهرها المولديات، حيث كانت لا تمر ليلة من ليالي المولد النبوي الشريف إلا ونظم فيها قصيدة.
- وقد جمع شعره في كتاب " أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره" لعبد الحميد حاجيات[3].

4 - **وفاته**

---

1 - برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الثاني، رسالة مقدمة انيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2009-2010، ص5.

2 - ينظر، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ص6.

3 - بن زاوي كنزة، مولدية أبي حمو موسى الزياني، مدكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014 / 2015، ص91.

كانت العلاقة بين "أبي حمو موسى" وابنه مضطربة، واشتدت تلك النزاعات بين أبو حمو موسى وولي عهده أبي تاشفين أيما اشتداد فرأى أبو حمو موسى أن إخماد نار هذا النزاع بأن يبتعد وكانت وجهته مدينة بجاية؛ لكنه قصدها مستنجداً ومستغيثاً كل من بلاده المشرقية من عرب وزناتة. فلما رأى المولى أبو تاشفين هذا الجيش فرّ هو الآخر خائفا، فذهب واستنجد هو بدوره ببني مرين، فاستجاب له السلطان المريني، وكان له ذلك. فأرسل معه جيش عظيم، قاصدين تلمسان وعند وصولهم قابلهم السلطان أبو حمو بمن معه، فلقيهم بجبل بني وزنيد فكانت نار القتال مشتدّة بينهما، فنصب الفرس كمين لأبي حمو، فاستشهد رحمه الله رمياً بالرماح سنة 791هـ، من طرف فلذة كبده وحلفائه المرينيين وفي مثل هذا يقول الشاعر[1]:

ما بعد يومك للمعنى المُدَنث غير العويل
وحَسرَة المُتأسف
كم لوعة ألفيتها مكتُومة في القلب
المُتلهم المُتلهف

هكذا كانت نهاية هذا الرجل العظيم، الذي كان له واسع الفضل في إعادة إحياء الدولة الزيانية في شتى المجالات وأصبحت بفضله أيقونة الحضارات تألقاً وبروزاً.

1 - ينظر، التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، دط، تح محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، ص180.

الفصل الأول
المولديات الظاهرة والفن

أولا = ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

المولد النبوي الشريف إطلالة للرحمة الإلهية بالنسبة للتاريخ البشري جميعه. فلقد وصف القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (رحمة للعالمين)؛ وهذه الرحمة لم تكن محدودة، فهي تشمل تربية البشر، وتزكيتهم، وتوجيههم، وتعليمهم، وهاديتهم نحو الاستقامة والطريق الصحيح، كما أنها لا تقتصر على أهل ذلك الزمان، بل تمتد على امتداد التاريخ بأسره {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم} (الجمعة/3).

لم يكن الاحتفال بالمولد النبوي من التقاليد الإسلامية، لهذا لم يتخذ المسلمون من مولد الرسول بداية للتاريخ الإسلامي؛ وإنما اتخذوه من الهجرة، على عكس ما فعل المسيحيون لمولد السيد المسيح. ولكن احتكاك المسلمين بأصحاب الديانات القديمة جعلهم يتأثرون ببعض عادتهم وتقاليدهم الدينية. على رأسها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. وقد بدأت هذي الاحتفاليات في منتصف القرن الرابع الهجري، وكان أول عيد من هذا النوع احتفال الشيعة بالذكرى السنوية لعيد الغدير، ويورد المقريزي في كتابه "الخطط": «وأول ما عرف هذا العيد في الإسلام كان في العراق، أيام معز الدولة ابن بُويه، أحدثه في سنة 352هـ، فاتخذ الشيعة عيدا منذ ذلك الوقت، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة»[1].

---

1 - محمود علي مكي، المدائح النبوية، ط1، 1991، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص96.

وكلما أقبل شهر ربيع الأول معلنا للبشرية عن ذكرى مولد حبيبنا المصطفي محمد رسول الله، نجد الناس تحضر للاحتفال به كلا حسب طريقته، وكل هذا محبةً في رسول الله، وإكرامه، وتبجيله. كيف لا وهو مثلنا الأعلى والسراج الوهاج للأمة الإسلامية ليوفر لها حياة مثالية في الدنيا والآخرة، {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} – (الصف/9) .

«قد شكل الاحتفال بمولد الرسول الكريم حافزا كبيرا لنظم الشعر ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والحديث عن مولده عليه الصلاة والسلام ونشأته وشمائله وغزاوته والتشوق إلى زيارة قبره مما أدى إلى ظهور ظاهرة أدبية أو فن أدبي جديد اسمه شعر المولديات والذي يعتبر شكل من الأشكال الشعرية المميزة»[1].

1 - في بلاد المشرق

ويرى بعض رجال الدين بأن الاحتفال بالمولد النبوي أكثر أهمية من الاحتفال بمواليد الأفراد. وعليه «إن هذا الاحتفال بدأ منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ولكننا لا نراه يتخذ صفة رسمية، ولا نجد شواهد على الاحتفال به بشكل منتظم فيما بين أيدينا من مصادر، على حين نجد أن الخلافة الفاطمية في مصر قد أولت اهتماما كبيرا بعدد من الموالد، أصبحت أعيادا رسمية، وأهمها أربعة: مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها ومولد الخليفة الحاضر»[2].

وقد انقطع الاحتفال بهذه الموالد فترة، منذ أن ولي الوزارة "الأفضل بن بدر الجمالي"؛

---

1 - خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، مدكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران(1) أحمد بن بلة، 2016/2015، ص46.

2 - الدكتور محمود علي مكي، المدائح النبوية، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، مصر، ص98.

إذ أنه كان سُنيا، غير أنهم عادوا للاحتفال بها بعد ذلك، وكان للخليفة جلوس عام بهذه المناسبة، وقد وصف لنا "المقريزي" بالتفصيل مراسم هذا الاحتفال الكبير، وما كانوا يحضرون من أطعمة لهذا اليوم المبارك؛ وأشار إلى ما يلقى فيه من خطب وأشعار[1].

«ولا شك في أن التشيع، سواء منه الاثنا عشري أو الإسماعيلي، كان له انفعال كبير في توجيه الاهتمام إلى المولد النبوي، قد رأينا _ فيما مر بنا من شعر الشيعة وقصائدهم في مراثي الحسين، أو في الاحتجاج لحق آل البيت في الإمامة، أنها كانت تتخذ من وصف شمائل الرسول، والإشادة بالمناقب النبوية منطلقا للحديث عن فضائل آل البيت؛ ولهذا يمكن اعتبار الكثير من هذا الشعر الشيعي ضربا من المدائح النبوية، أو على الأقل نرى فيه نواة مبكرة لهذه المدائح. وحينما نمعن النظر في الفكر الشيعي الإسماعيلي، الذي كان مذهب الدولة الرسمي في ظل الدولة الفاطمية بمصر، نجد أن فكرة الحقيقة المحمدية، التي سوف نراها ماثلة بعد ذلك في المدائح النبوية المتأخرة منذ القرن السابع، تبدو كامنة في كتابات دعاة الفاطميين»[2].

2 - في بلاد المغرب والأندلس

احتفل سكان بلاد المغرب والأندلس بالأعياد والمناسبات الدينية، شأنهم في ذلك شأن المجتمعات المسلمة. ومن الأعياد المهمة في نفوس المجتمع المغربي والأندلسي كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. وكان أول من نبّه إليه هم "بنو العزفي" أصحاب مدينة سبتا. فقد كان "أبو العباس أحمد القاضي محمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي "(ت633هـ) هو الذي دعا إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مدينة سبتا

1 - ينظر، الدكتور محمود علي مكي، المدائح النبوية، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، مصر، ص91.

2 - ينظر، الدكتور محمود علي مكي، المدائح النبوية، المصدر نفسه، ص91.

بالمغرب الأقصى، وألف كتابا عنوانه "المنظم في مولد النبي المعظم"[1].

ولكن بعد مجيء الحكم المريني شهدت هذه المناسبة تطورا ملحوظا، لما كانت تلقاه من عناية خاصة واهتمام كبير. وأول من احتفل به من بني مرين "يعقوب بن عبد الحق" (656هـ _ 685هـ)، وظلت الظاهرة منتشرة حتى شملت جميع أنحاء المغرب الأقصى في عهد السلطان "يوسف بن يعقوب" (615هـ _ 706هـ)، الذي لم يتراجع في تعميقها والدعوة إلى تعظيمها وأصدر بذلك مرسوما سلطانيا في آخر سنة 691هـ ، الذي مفاده جعل المولد النبوي من الأعياد الرسمية ، وقد ظهر هذا الاحتفال في الأندلس على أيام السلطان "أبي الدباج يوسف الأول" (733هـ - 755هـ)_ وقد نظم " لسان الدين بن الخطيب" خلال هذه المناسبة قصيدة شعرية، وطوّر "ابن محمد الخامس الغني بالله" (755هـ - 760هـ) الاحتفال بالمولد النبوي الشريف اقتداءً بملوك المغرب[2].

هذا وقد عرف احتفال الدولة الزيانية بهذه المناسبة نوعا من التأخر قياسا بجيرانها، وذلك وفق ما تشير إليه معظم المصادر، التي تجمع أن تاريخ شيوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي بتلمسان بدأ مع تولي "أبي حمو موسى الثاني"، مقاليد الحكم سنة (760هـ)، ويرجع سبب هذا التأخر إلى أسباب فقهية طائفية، ذلك أنّ سلاطين بني زيان لم يهتموا بهذه الظاهرة ولم يجعلوا من هذه الذكرى عادة رسمية؛ ولاسيما الأوائل منهم، بل لم يهتموا بها مثل اهتمام بني مرين وبني حفص. ولعل العامل الأهم والأقوى الذي جعل الاحتفال المولد النبوي يتأخر بمدينة تلمسان قياسا بمدينتي "سبتة" و"فاس" هو ذلك الاختلاف الذي نشأ بين فقهاء السنة حول هذه

1 - ينظر، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، ج1، ط2007، ص275.
2 - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص276.

الظاهرة وحول جوازها، وهل هي بدعة مسيحية أم مستهجنة ؟ فالذين يعملون برأي "مالك" يعدون هذه الاحتفالات بدعة مذمومة[1]. وهو المذهب الذي يتبعه المجتمع التلمساني. ولم يتجرأ الناس ولا الحكام على تبني هذه الظاهرة قبل عهد "أبوي حمو موسى الثاني" الذي عاش في الأندلس، وفي مدينتي "فاس" و"تونس"، وشاهد الاحتفالات الشعبية والرسمية بهما في هذه المناسبة[2].

وقد عرفت تلمسان في عهد بني زيان حركة أدبية مميزة، كان من روادها "أبو عبد الله القيسي الثغري"، الذي كان من كتّاب دولة أبي حمو موسى الثاني. وله من الشعر قصائد طوال في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، نظم أكثرها في إحياء ذكرى المولد النبوي، كما ظهر إلى جانبه "أبو عبد الله التلاليسي"، طبيب السلطان وشاعر البلاط، له تواشيح رائعة ومدائح كثيرة. ومن الشعراء أيضا "ابن العطار"، و"ابن سفيان"، و"ابن صالح شقرون"، و"ابن قاسم المرسي" وغيرهم كثر. ومن مثل هؤلاء نجد الأديب الفقيه الرئيس الأكمل كاتب الإنشاء بهده الدولة "أبا زكريا يحي بن خلدون" يبدع في قصيدة مدحية رائعة، نظمها بمناسبة إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، والتي يقول في مطلعها[3]:

سلا القلبُ لولا لوعةٌ وشُجُون تنُمُ ولا يدري بذلك شُؤُون

يـــاذُرُهُ البرقُ اليمانيُ عهده بنجدٍ فيصبُو والحديثُ شُجُونُ

وقد أنشد الأديب البارع "أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي" إحدى روائع قصائده المولدية

---

1 - المرجع السابق، ص278-279.

2 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1982م، ص71-77.

3 - ينظر، خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة ،2016/2015، ص70.

التي أحيا بها ليلة المولد النبوي الشريف، والتي يقول فيها[1]:

أقْصر فإن نديـر الشـيبُ وافني وأنْكرتْني الغواني بعْد عرْفاني

و قدْ تماديْتُ في غي بلا رشد والنفْسُ تأْمُرُني والشيْب ينهاني

فقلت للنفْس إذ طالتْ بطالتُها مهْلاً ألمْ يأنْ أنْ تخْشى أ لمْ يأنْ

وقد كانت ذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم أبرز محطة استوقفت الأمير الشاعر أبا حمو موسى الزياني مرات عديدة وجعلته لا يفوت الفرصة ويدلي بدلوه فيها، والتي كشفت لنا عن تمرسه بهذا الفن الجميل، الذي أصبح تقليدا مميزا في المغرب الإسلامي، والتفت حوله الخاصة والعامة، وأشرف عليه الأمير، وأوجد له إطارا تنظيميا يقدمه للناس كلما هلت الذكرى على الأمة الإسلامية. فقد خصها بكثير من العناية والاهتمام، كما أنه أشرف عليها بنفسه، واحتضن مراسيمها في قصره الذي أعده بمختلف مظاهر الجمال، و«كان أبو حمو موسى الزياني الثاني يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، و يحتفل لها بما هو فوق سائر المراسم، يقيم دعوة يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم وِلدان، قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال منها كل بحظه ... والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلي هنالك صلاة الصبح »[2]. على هذا الأسلوب كانت تمضي ليلة المولد النبوي الشريف في جميع أيام دولته.

---

1 - أبو العباس سيدي احمد بن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر،1903، ص144.

2 - التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعُقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود آغا بو عياد، موفم للنشر، الجزائر ،2011، ص163.

كانت دولة بني زيان من أكثر الدول التي ساهمت في الاحتفال بمولد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، تحت رعاية سلاطينها وبمساهمة العامة والخاصة وشعراء البلاط وكذا أدباء الأمصار الأخرى الوافدين على السلطان مختلفين في طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، تعرف بني زيان على هذه العادة بعد الغزوات التي تعرضوا لها من قبل الحفصيين، كما أن السلطان المريني أصدر مرسوم ينص على تعميم هذه الظاهرة في المناطق التي تحت نفوذه[1].

هذا وقد «اكتسى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني حُلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا مند توليه العرش الزياني سنة 760هـ، تميز الاحتفال في عهده بإيقاد الشموع الملونة وتوزيع ماء الزهر وماء الورد، كما توزع فيه الهدايا الكثيرة والمتنوعة، وتؤدى الديون عن المسجونين، وكذا عن الأموات، فعندما انتصر هذا السلطان على بني مرين، أعاد إحياء دولة الأجداد بالمغرب الأوسط»[2]. وكان كلما حانت ذكرى المولد النبوي الشريف، لا يتوانى في انتهاز الفرصة للاحتفال به، وأقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا، وجعل هذا اليوم من الأعياد الرسمية للدولة، وخصه بعناية دون غيرها. وفي ذلك يقول التنسي: «وكان يقوم بحق ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويحتفل لها كما هو فوق سائر المراسيم،

وقد كان السلطان الزياني يدعو كافة الناس خاصتهم وعامتهم لحضور هذا الاحتفال، وينقل "يحي بن خلدون" جانبا من احتفال السلطان في مجلسه في ليلة المولد بقوله: فأقام لها

1 - ينظر، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر، ج2، 2009، ص82.

2 - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، ج2، ص281.

بمنشور داره العليا عرس حافلة، احتشدت لها الأمم، وحشر بها الأشراف والسوقة»[1].

وتطورت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في تلمسان تطورا بلغ غايته من الزينة، والفرح، والبهجة، والسرور في عهد "أبي حمو الثاني"، الذي كان يشرف على هذه الاحتفالات بنفسه، ويقيم لها بقصره عرسا من الزينة، والجمال. وحشد لها الإمكانيات مادية وأدبية هامة، «فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، ووسائد مغطاة بالذهب ومشامع كالأسطوانات وكان السلطان يتصدر المجلس جالسا على سريره الذي يسُرُ الناظرين في أُبهةٍ وإجلال، ثم تليه أعيان المدينة من مختلف الشرائح الاجتماعية، من أمراء، ووزراء، ووجهاء، وعلماء، وشعراء، وموظفين من عامة الناس. يرتدون لباس من الحرير الملون، ويحملون بأيديهم مباخر يخرج منها دخان العنبر، وماء الورد المجلوب»[2].

لقد كان السلطان "أبو حمو" لا يحتفل بهذه الليلة لوحده بقصر المشور؛ بل كان يدعو الناس من أهل العلم، والرأي، والفضل، القاطنون بمدينة تلمسان، عاصمة الدولة الزيانية. ولم يكن الاحتفال يبدأ في الفترة الصباحية بل الفترة المسائية؛ حيث يقوم السلطان بإلقاء قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والثناء عليه. كما كان السلطان يقرض الشعر ويحب أهله، وبعدها تلقى القصائد الأخرى من قبل الشعراء والأدباء الدين حضروا الاحتفال من أجل ذلك. وكانوا يخرجون في قصائدهم من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى آخر، ويأتون من ذلك بما تميل له النفس تطرب وترتاح إليه القلوب[3].

1- التنسي، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان،المرجع السابق، ص162.

2 - عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، ج2، ص282.

3 - ينظر، حسيبة عميروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد8، العدد1، جوان 2017، ص286.

واحتفل أيضا بهذه المناسبة سلاطين أخر منهم: السلطان "محمد بن أبي حمو" الملقب بأبي زيان (796هـ -801هـ)، والسلطان "عبد الواحد" الملقب بأبي مالك (814هـ-827هـ)[1].

وقد أضفى "أبو حمو موسى" على المناسبة طقسا خاصا، لم تعرفه بقية الممالك المجاورة. الأمر الذي أوقع الشعراء في اختبار عسير لمشاعرهم، يكمن في مدى توهج آثار مثل هذه الذكرى، ومدى استجابة القريحة الشعرية لها. وتستهل الجلسة بقصيدة من نظم السلطان في مدح مولد المصطفى[2]:

قفا بين أرجاء القباب وبالحي وحي ديارًا لحبيب بها حي
وعرج على نجد وسلع ورامة وسائل فدتك النفس في الحي عن مي
و قل ذلك المضنى المعذب بالهوى يموت ويحيا فارث للميت الحي
و بث لهم وجدي وفرط صبابتي ورو حديثي فهو أغرب مروى

«ثم يأتي دور إنشاد القصائد والتباري فيها، ويستمر ذلك إلى آخر الليل. وفي هذا المصدر يقول "يحيى بن خلدون": وجيء في آخر الليل بالخرس، الشهي الملاذ، الحافل الملامح، والمشام المتعدد الخوانات مما أرحبت، وخير برودة، وناء بالفضية أولى القوة محملة، ثم الفواكه فالحلواء. وطعم الناس بين يد الخليفة، وشكروا الله سبحانه وتعالى، ولم يبرح مكانه حتى صلى صلاة الصبح فبي الجماعة، ثم غدا داره السعيدة»[3]. وقد صنع "أبو الحسن علي الحسن ابن أحمد" المعروف بـ "ابن الفحّام" آلة (المنجانة) ذات الشكل الغريب، وهي عبارة عن

1 - المصدر نفسه، ص287.
2 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، مرجع سابق، ص345.
3 - يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، ط 1980، ص42.

ساعة وظيفتها الإعلان عن الساعات المنقضية، من ليلة المولد يحضرها السلطان إلى مجلسه. فهذه الساعة تعد من الاختراعات الهامة التي أبدعها العالم التلمساني ليلة المولد النبوي الشريف التي أصبح المجتمع التلمساني يحتفل بها سنويا.

فبهذه الطريقة كان السلطان أبو حمو موسى الثاني يحتفل بذكرى المولد النبوي وأصبح هذا الاحتفال عادة لكل سلاطين بني زيان الذين جاؤوا من بعده. ولدى المجتمع التلمساني الذي صار يبالغ في الاحتفال به. وقد أوصى "أبو حمو" ابنه "أبا تاشفين الثاني" باتباع أثاره في هذه المناسبة بقوله: "يا بني عليك بإقامة شعائر الله عز وجل وابتهل إليه في مواسم الخير، وتوسل واتبع أثارها في القيام بليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم واستعدّ لها بما يستطيع من الاتفاق العام، واجعلها سنّة مؤكدة في كل عام، تواسي في تلك الليلة الفقراء وتعطي الشعراء، وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية، وتحلت بالحلية الأدبية زادت جمالا إلى جمالك، وكمالا إلى كمالك، فنظم المولديات[1].

ثانيا = فن المولديات في الأدب

1 - المولديات بين المديح والرثاء

ظهرت المدائح النبوية قبل وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. فالرثاء هو ما يقال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنّه في رسولنا الكريم يسمى مدحا. كأنهم لاحظوا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم مازال حيًّا يُرزق، وأنهم يخاطبونه خطاب الأحياء، ويمكن القول إنّ الثناء على الميت لا يسمى رثاءً إلا إذا قيل في أعقاب الموت، وكذلك نراهم يقولون (قال حسان بن ثابت يرثي النبي صلى الله غليه وسلم)،

1 - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009، ج2، ص284.

ليفرقوا بين حالين من الثناء: ما كان في حياة الرسول وما كان بعد موته عليه الصلاة والسلام. بخلاف ما يقع من شاعر ولد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا فإن ثناء الشاعر يسمى مدحاً لا رثاء، لأنه لا موجب التفرقة بين حال وحال، فالرثاء يقصد به إعلان الحزن، والخوف؛ في حين أن المدائح النبوية هي التقرب إلى الله بنشر محاسن تعاليم الدين الإسلامي، والثناء على شمائل الرسول[1].

بدأ المديح النبوي في المشرق العربي مبكرا مع مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومر بفترتين؛ تعرف الأولى بما قيل في حياة الرسول ظهر كإرهاص لشعر المديح النبوي، مثل ما قاله "عبد المطلب" في ولادة محمد ابن عبد الله، فقد شبه ولادته بالنور والسراج الوهاج الذي أنار الكون قائلا[2]:

و أَنتَ لمَا وُلدتَ أَشْرَقَتْ الأَرْضُ وضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنَحنُ في ذَلُكَ الضِيَاء وفِي النُورِ وسُبُلِ الرَشَادِ نَخْتَرِقُ

وأول الشعراء العرب الذين مدحوا الرسول في هذه الفترة الأعشى الذي نظم قصيدته الدالية مثنيا فيها مكارم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يقول:

ألم تَغْمِضْ عَيْناك لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وعَادَ كَمَا عَادَ السَلِيمَ مُسَهَدَا
و مَا ذَاكَ مِن عِشْقِ النِّسَاءِ وإنمَا تَنَاسَيْت قَبْلَ اليَوْمَ خُلَّةَ مَهْدَدَا
وَلكِنْ أَرى الدَّهر الذِي هُو خَائِنٌ إذَا أَصْلَحتُ كَفَّاهُ عَادَ فَأَفْسَدَا
كُهُولاً وشَبَاباً فَقَدْتُ وَثَرْوَةً فَللَّهِ هذا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَدا

1 - ينظر،زكي مبارك، المدائح النبوية، دار المحجة البيضاء، ص17.
2 - ينظر، خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة وهران -1 -2015م /2016م ،ص49.

و مَـازِلْـتُ أبـغِـي الـمَـالَ مُـذْ أنَـا يَـافِـعٌ
وَلِـــيـداً وكَـهْلاً حِـينَ شِبتُ وأمْـرَدَاَ

من الواضح أن أبيات قصيدة الأعشى ليست من المدائح النبوية؛ لأنها خالية تماما من العاطفة الدينية، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الأعشى لم تكن نيته صادقة في مدح الرسول الكريم، بل كانت محاولة كمحاولات سائر الشعراء الذين يتكسبون بالمديح[1].

أمّا الفترة الثانية التي مر بها المديح النبوي فهي فترة ما قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ يتبين لنا أن معظم القصائد قيلت بعد وفاة الرسول، وبعد الوفاة يسمى رثاء؛ لكن في رسولنا الكريم يسمى مدح. هذا لأن الرسول مازال حيّا في قلوب المسلمين كافة، وسيبقى كذلك إن شاء الله مادام قلوب المسلمين تنبض بحبه والاقتداء به، والفوز برؤيته في الآخرة. والغاية من تلك القصائد هي التقرب إلى الله ونشر الدين الإسلامي، في حين تبنى قصائد الرثاء على التفجع والحزن. يقول حسان بن ثابت[2]:

ما بالُ عينك لا تنام كأنما
كـحلت مـآقيها بكحل الأرمدَ
جـزعا عـلى المهدي أصبح ثاوياً يا
خير من وطئ الحصى لا تبعد
وجهي يقيك التُرب لهفي ليتني غيبت
قـبلك في بـقـيـع الـغـرْدَقِ

2 - مفهوم المولديات

أ – لغة

المولديات جمع مولدية من الفعل وُلِدَ، ويقصد بها الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف كل سنة من شهر ربيع الأول. وتعد المولديات من الظواهر الاجتماعية لما فيها من

1- ـ ينظر، المصدر السابق، ص50.
2- ـ ينظر، المصدر نفسه، ص53

تعاود، ومساعدة بين المسلمين، تحضيرًا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

وهي حدث بارز في حياة المسلمين، وكثيرا ما تغنى به الشعراء. فهو بذلك باب من أبواب المديح الواسعة؛ إلا أن المولديات تختلف عن المديح النبوي اختلافا ظاهرا فالمديح لا يخص بزمان محدد وإنما هو دائم طول العام، لكن المولديات محددة بزمن أي وقت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول من كل عام، فالدكتور زكي مبارك اعتبر قصة المولد من صميم المدائح النبوية[1].

ب - اصطلاحا

المولديات كمصطلح ديني، هي المدائح التي تلقى ليلة المولد النبوي، وتحتوي على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تحت رعاية سلاطينهم، وبمساهمة العامة والخاصة، وشعراء البلاد، وأدباء الأمصار الأخرى الوافدين على السلطان، محتفلين بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم. فمولد النبي صلى الله عليه وسلم هو أعظم منة من الله عز وجل لقوله تعالى: (لقد مَنَّ اللّه عَلى المُؤمنينَ إذ بَعَثَ فِيهم رَسُولاً من أَنفُسِهم يَتلَو عَليهم آياتهِ ويُزَكيهِم ويُعَلمُهم الكِتابَ والحِكمَةَ وإن كَانُوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبِين)، (آل عمران/164).

يرى عبد الحميد حاجيات أن الموضوع الرئيس للمولديات هو مدح النبي الكريم وذكر معجزاته، وفضائله، والإشادة بفضل ليلة المولد الشريف. ويتلو ذلك غالبا مدح للسلطان، وذكر لمزاياه ومحاسنه، مما يدخل في باب مدح رجال السلطة وتنتهي المولديات بالدعاء للسلطان وطلب غفران الذنوب والرعاية من الخالق تعالى[2].

3 - رواد المولديات في أدب المغاربة

---

1 - ينظر، زكي مبارك، المدائح النبوية، ص244.

2 - ينظر، ماسيليا أونيس كنزة بن بوط، قصيدة المديح النبوي في الشعر الجزائري المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2018-2019، ص19.

عند حديثنا عن شعراء المولديات في الأدب المغاربي فنحن لا نستقصي عهد دون غيره، ستكون بداياتنا بالعهد الزياني تلمسان تحديداً هذه الأخيرة التي أصبحت نقطة شعاع علمي، تحت تشجيع سلاطينها للعلم والمعرفة، خاصة في فترة حكم السلطان الزياني أبو حمو الثاني وأصبح بفضله تعُج بالشعراء والأدباء على غرار أنه يحتفل بهذه الليلة خير احتفال، والذي كان ينظم فيها قصائد بمشاعر جياشة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والتي بقي صداها إلى يومنا هذا، وسنستعرض فيما يلي أهم الشعراء أول رائد سنتناوله بالدراسة هو الإمام الشاعر من أشهر الشخصيات التي اشتهرت في القرن الثامن هجري، "أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي" المعروف بالثغري، نشأ في تلمسان هذه البيئة الاجتماعية التي كانت تسخر بالعلوم والأدب، فكان شعره صدى وصورة لها، فما كان لهذا الشاعر الذي اصطفاه واعزه للمولد النبوي الشريف أبو حمو موسى، فقد خلف ديوان شعري احتوى ثمانية عشر(18) قصيدة، في أغراض متعددة: منها الرثاء، والفخر. وأكثر ما برز فيها هو المدح. وقد قيلت معظم القصائد في هذا الفن المولدي في عهد السلطان أبو حمو موسى، وقد كان الثغري ينظم القصائد بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي ويلقيها بنفسه، وهذه من القصائد التي أنشدها الشاعر ليلة مولد النبي(717هـ)[1]:

أَقصِر فإن نَذيرَ الشيْبِ أَتانِي
وأَنْكَرَنِي الغَوانِي بَعْد عِرْفَانِ
وَقَدْ تَمَادَيتُ في غَنِي بِلا رشْدٍ والنَفْسُ تَأْمُرُني والشَيْبُ يَنْهاني

فالثغري من الشعراء الذين لازموا الاحتفال بليلة المولد النبوي، طيلة عهد أبو حمو موسى

1 - بنظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص177.

ومن القصائد كذلك في خير البرية والتي يقول فيها[1]:

يا لَيْلَ الْاثنين افْتَخر بالبَدْرِ الطَالِع من مضِوء في لَيْلة يَوم اثْنَي عشَرْ
من شَهْر رَبيْع المُشْتَهرْ بالمَوْلِدْ
فهوَ به عَلِمْ

وهذا هو الثغري صادق العاطفة في مدحه للنبي والذي غلب على ديوانه شعر المولديات ومنه نستشف القول إنّ شاعر البلاط الزياني احتل مكانة مرموقة بين معاصريه، فقد أنشد من القصائد المولدية ما يبين تمسكه بالرسالة المحمدية.

وثمة شخصية أخرى ظهرت في البلاط الزياني وهو: "أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي"، واشتغل في الطب حتى برع وذاع سيطه، فقربه السلطان "أبو حمو موسى الثاني" (760هـ ـ 791هـ) إليه، واتخذه طبيبا لنفسه وعلاوة على حذقه في الطب فله ثقافة في اللغة العربية والأدب، فقد كان له الباع الجيد في قرضه ونظمه للقصائد الشعرية خاصة في البلاط الزياني وتراوحت قصائده بين الوصف والرثاء والمديح وفي الموشحات ومولديات التي محط دراستنا كثيرة لهذا الشاعر منها يقول التلاليسي[2]:

تُرى يَسْتَكينُ الصِبا بالرَسَائِل فَدَمْعي مُذْ بَان هَامُ وَسائِل
و هَل لزَمانْ مَضَى رَجْعةٌ كَعَهْدِي بهِ أَتَرى الدَهْرَ رَاحِلٌ

إلى أن يقول:

فما لي سِواكَ وأَنْتَ الإلَهُ الذي لا تَخِيبُ لِبابِك سَائِلُ
تَوَسَلْتُ بالهَاشِمي الذي بَعَثْتَ رَسُولاً فأَدَى الرَسَائِلَ

1 - ينظر، نجوى كاتب، مولديات الثغري دراسة فنية جمالية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة أم البواقي، 2010 - 2011، ص69.
2 - ينظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص190.

بَـني الـهُـدَى خَـاتِـم الأَنْـبِيَـاءَ شَفِـيْعُ الـعُصَاةْ وزيْـنُ الـمَحَافِلُ

فالشاعر هنا بدأ بتأسفه على شبابه الذي ضاع في اللهو فيتوسل إلى الله أن يعفو له متوسلاً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بمدحه بأسمى الخصال الحميدة وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

بعد هذه الجولة في رحاب الدولة الزيانية وشعرائها في فن المولديات سوف نعرج قليلا إلى شاعر آخر تونسي ذو أصول أندلسية "يحي بن خلدون" هو أبو زكريا يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون، ولد بتونس سنة (734هـ) ونشأ وترعرع فيها، لكن أصوله من عائلة أندلسية من إشبيلية تحديداً، وكان حريصا على طلب العلم، دخل بلاط الزيانيين في عهد السلطان "أبو حمو موسى"، وخلف أثاراً أدبية أبرزها على الإطلاق، كتابه "بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد" المتكون من جزأين، وكان بمثابة كتاب سيرة عن ملوك بني عبد الواد. وهذا يدل على الصلة والعلاقة المتينة بالبلاط الزياني آنذاك. وقد أنشد أشعارا في كثير من ليالي المولد النبوي التي كانت تقام في قصر السلطان، ونخص بالذكر هذه القصيدة التي يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم[1]:

لَـمْ أُقَـدِمْ وَسِـيلَـة فِـيهِ إلاَ حُـبُ خَيْر الوَرَى الشَفِيعْ المَاحيْ

سَيدُ العَالَمِينَ دُنْـيا الآخِرة أشْرَف الخَلْق في العُلَا والَسَمَاحْ

وفي عهد الموحدين نجد الشاعر "ميمون الخطابي"، المعروف بابن جنازة، وهو من الشعراء البارزين في عهد الموحدين. عاش متنقلا بين المغرب والأندلس، ومن أشهر شعراء المدح، مدح الحكام عامة ومدح الرسول خاصة، ومن أشهر

1 - ينظر، عبد الحق هتهوت، الشعر الجزائري القديم وأثره على الجوانب الحضارية في المغرب الإسلامي (من القرن الثامن هجري إلى القرن العاشر هجري) ـ مقاربة تاريخية وصفية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2018- 2019، ص103.

قصائد ميمون الخطابي يائيته المشهورة، التي قيلت في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام منها قوله[1]:

رَسُولٌ يراهُ اللهِ مِن صَفْو نوره
وأَلْبَسَهُ بَرْداً من النُورِ ضَافِياً
و مَازَالَ ذَاكَ النُورُ منْ عَهْدِ آدَمْ
يُنِيرُ بِهِ َاللهِ العُصُور الخوَالِيا
ثَوى في ظُهورِ الطَيبينَ، يَصُونهُ
وَديعَة سِرٍ، صَارَ بالْبَعْثِ فَاشِيًا

يمدح الشاعر في يائيته النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ويعرض سيرته الطيبة، وأنه خيرُ خلق الله ولولاه لكان الجميع في ضلال مبين، وعليه فالشاعر كان ميالاً إلى المديح النبوي، ومن الشعراء المرموقين في هذا الفن.

4 - البناء الفني للقصيدة المولدية

تأسيسا على ما قدم، فإنّ القصيدة المولدية ظلت وفية لبناء القصيدة العربية القديمة؛ حيث يحرص الشاعر – على النحو الذي وصلنا – أن يصدر قصيدته بنوع أو بأنواع من المقدمات، فكان يستجيب في ذلك للعرف الذي أملاه نقادنا القدامى على المبدع، والذي أسسوه من نظام القصيدة لدى الشعراء الأوائل، إن للمولديات عرض مستحدث، بالمغرب الإسلامي ظهر استجابة للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي كان تقليدا متبعا، مند عهد الإمارات المستقلة: الحفصية، الزيانية، المرينية، وإمارة بني نصر بغرناطة.

لقد كان للقصيدة المولدية أثر في ازدهار الحركة الشعرية في تلمسان على عهد الدولة الزيانية، وحظيت هذه المولديات بعناية خاصة على المستويين: الرسمي والشعبي، وكان لها أثرها الإيجابي على المستوى الشعري؛ بحيث فتحت

1 - ينظر، أمينة فرواني، المديح النبوي في الشعر المغربي القديم، قراءة في نماذج منه، تقرير بحثي لنيل شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2013 - 2014، ص5.

المجال واسعا أمام الشعراء الدين كانوا يترقبون المناسبة، ويستعدون لها بأفضل ما تجود به قرائحهم في أجواء تنافسية احتوتها قصور الأمراء والحكام؛ مما أذكى جودة هذا الشعر، وجعله يتصدر قائمة أغراض الشعر الديني خلال القرن الثامن الهجري خاصة، وكذلك من خلال الجهد الفني الكبير الذي أفرغه الشعراء فيها، فعبروا عن عواطفهم الدينية الصادقة، ومعرفتهم الشاملة للسيرة النبوية، وما جاء فيها من معجزات خصا بها الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم.

فإذا استهل الشاعر في هذه القصيدة _كما قلنا _ في كثير من الأحيان الأحبة، وذكر الشوق والحنين إلى أحبته، ثم يبين أن هؤلاء الأحبة يقيمون بالبقاع المقدسة، وأنه يود اللحاق بهم، وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد يشير أيضا إلى انهماكه في حياة اللهو والملذات، وانغماسه فيها، وندمه الشديد على تلك الذنوب والخطايا التي أثقلت كاهله، فما كان لهذه الذنوب أن تزول، ألا بزيارة قبر النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم[1].

و«تحتل المولديات مكانة هامة في شعر "أبي حمو موسى الثاني"، وقد أورد صاحب "بغية الرواد" إحدى عشرة قصيدة، نظمها أبو حمو في الفترة الممتدة بين (760هـ و771هـ). كما أشار المؤرخون لدولة بني زيان إلى اهتمامه بالاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، شأنه في ذلك شأن بني الأحمر بالأندلس، وبني مرين بفاس، وغيرهم من السلاطين»[2]. فما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا تباري فيها الشعراء بنظم القصائد في مدح خير البرية، وهكذا مضت

1- ينظر، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، مرجع سابق، ص220.
2 - المرجع نفسه، ص225

ليالي المولد طول أيام الدولة الزيانية[1].
وقد حفز الأمير الشعراء من كل الأمصار على نظم المديح النبوي، ودخل معهم المنافسة، وسبقهم إلى تلك الممدحة، فكان هو أول من يبتدئ المسمع بإنشاده المتميز في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ينشد بعده شعراء آخرون صلاة الفجر. فمن افتتاحيات المولديات الرائعة يقول الأمير السلطان[2]:

نام الأحباب ولم تنم عيني بمصارعة الندم
و الدمع تحدر كالنديم جُرحُ الحدين وألمي

وفي مطلع مولدية أخرى يقول[3]:

قفا بين أرجاء القباب وبالحي وحي ديارا للحبيب بها حي
و عرج على نجد وسلع ورامة وسائل فدتك النفس في الحي عن مي

ويقول في خاتمة مولدية أخرى[4]:

يخصك موسى بأزكى سلام وبروق بالنفوس كنشر الكبا
و مسكٌ فتيق وزهر أنيق بروض شريف حوته الرُ...

أما القصائد التي كانت تنظم في هذه المناسبة العظيمة فكثيرا ما تكون مزيجا بين موضوعات مختلفة، اعتاد الشعراء أن يجعلوها مادة لقريحتهم الشعرية. ونلمس أن الشعراء كانوا في معظم القصائد يستهلون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية، على منوال القصائد العربية القديمة. إضافة إلى إنها ذات ملمح صوفي، يصفون فيها حنينهم إلى رؤية المصطفى

1 - حسن السندوبي، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1948، ص231.
2 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط5، 2011، ص350.
3 - المرجع نفسه، ص354.
4 - المرجع نفسه، ص370.

عليه الصلاة والسلام، وشوقهم إلى زيارة البقاع المقدسة، ثم يصفون المطية، ورجال المواكب المتوجهة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وزيارة مكة المكرمة؛ حيث قبر النبي صلى الله عليه وسلم[1]. وكذلك الاستقلال بذكر فضل شهر ربيع الأول، أو فضل ليلة المولد الشريف ورجائهم لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

وفي دراسة القصيدة المولدية يلحظ النمط الفني الأكثر تشبثا ببناء القصيدة المادحة، وصار بذلك تقليدا فنيا، وسلكوا فيه مسلك القدامى، فحافظوا على نظام القصيدة الكلاسيكية. وكذلك نظم الزيانيون قصائدهم على هذا المنوال، ويمكن أن نلمس هذا البناء في العناصر الآتية:

أ_ المقدمة بعناصرها الطللية والغزلية

إن المقدمة الطللية هي مفتاح القصيدة التي يبتدئ بها الشاعر العربي القديم قصيدته، كما تعد المقدمة الطللية ظاهرة فنية ضاربة جذورها في القدم وكثيرا ما استهوت قلوب الشعراء قديما، وكانت بالنسبة لهم قالبا فنيا استوعب كثيرا من ذواتهم ونفسياتهم ومواقفهم، لذا كان حضورها واسعا في التراث الشعري العربي القديم مند عصر التأسيس للقصيدة العربية القديمة، والذي يقترن بمرحلة النضج الطبيعي في حياة الشعر العربي. والتي تمتد بجذورها مند العصر الجاهلي. ومن ثمة أصبحت تقليدا عند معظم الشعراء العرب القدامى في هذا يقول: ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة في باب أجمل الشعر وشحذ القريحة: سئل دو الرمة، كيف تفعل إدا تقفل دونك الشعر، فقال يتقفل دوني وعندي مفاتيحه، قيل له وعنه سألناك ما هو؟ قال: الخلوة بذكر الأحباب، فهذا لأنه عاشق ولعمري إنه انفتح للشاعر بسبب

1 - طاهر بوزياني، التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص49.

القصيدة فقد ولج الباب ووضع رجله في الركاب[1].

فالشكل في القصيدة المولدية كما في غيرها في الشكل التقليدي، كثيرا ما تكون المقدمات غزلية وطللية، شأنها في ذلك شأن قصيدة أمرئ القيس، والنابغة الجعدي والأعشى، وغيرهم من شعراء الجاهلية.

_ الوقوف على الأطلال

الطلل تقليد من تقاليد القصيدة العربية بعامة، والقصيدة الجاهلية بخاصة، يقف الشاعر فيه على الأطلال الدارسة لأحبته الطاغيين بذكر مواقعها ويصف آثارها الباقية، فيكون في دلك البكاء بعض التحقيق عنه والتعبير عما في أشجانه ووجده[2].

و لقد انتقل الطلل بخواصه الشكلية والدلالية إلى القصيدة المولدية فعبر أبو حمو موسى عن حبه للرسول الكريم من خلال اشتياقه للمكان الظاهر الذي تواجد فيه بني الأمة صلى الله عليه وسلم سواء في حياته أو في مماته بطريقته المتميزة والخاصة وقد نجد دلك موضحا في مطلع إحدى مولدياته[3]:

قفا خبراني عن رسوم نواهج وعن معلمات طيبات الارائج

وعن أرض نجد والعذيب وبارق ولا تخبراني عن ذوات الدمالج

لقد حدا الشاعر في هذا المطلع حدو الشعراء القدامى، وخاصة الذين عرفوا في العصر الجاهلي، أمثال امرؤ القيس في مطلع معلقته[4]:

---

1 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 2، ص185.

2 - مختار حبار، شعر أبي مدين التلمساني، الرؤيا والتشكيل، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2002، دط، ص61.

3 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط5، 2011، ص375.

4 - امرؤ القيس، الديوان، تح: أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1984، ص8.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وكذلك في مطلع آخر نجد الشاعر ينتهج نفس الطريقة في الاستهلال، إذ يقول[1]:

قفا بين أرجاء القباب وبالحي وحي ديار للحبيب بها حي

وعرج على نجد وسلع ورامة وسائل فدتك النفس في الحي عن مي

فامرؤ القيس قد أمر صاحبيه بالوقوف أمام تلك المنازل والديار، قصد البكاء على تلك الأطلال الباقية للأحباب، الذين ذهبوا، ولم يبق منهم إلا الأثر. كذلك "أبو حمو موسى" في مطلعه هذا، نراه يأمر صاحبه بالوقوف أمام أرجاء القباب الممتدة في السماء، من أصل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

إنها بداية تكشف عن براعة الشاعر في استهلاله، وتنم عن تألق شعري جذّاب يجمع بين عذوبة اللفظ وعمق المعنى، التي تكونت من خلاله لغة شعرية، فجعلها تغدو حية في نفس المتلقي، توحي له كل يوم بالجديد الممتع. رغم أن الشاعر اعتمد على مطلع تقليدي ونسجه على منوال القصيدة العربية التي يبدأ مطلعها إلا بوقفة طللية؛ حيث أن الشاعر في العصر الجاهلي وقف، وبكى، واستبكى لفراق الأحبة، ورحيلهم.

فالمعادلة تبقى واحدة في شعر المولديات؛ إلا أنه اختلف عن ذلك النمط المألوف لاختلاف في مكانه المحبوب وكدا الديار، وهدا يعني أن موقف الشاعر منه ليس اختيارياً منظماً، بل هو في حقيقته انعكاس لتكوين باطني يسوق الشاعر إلى الصوفية وعوالم الرؤيا والاستكشاف تحمل نفحات إيمانية وزكاة روحية، فهي مقدسة لصلتها بأنبل الخلق، شفيع الأمة ومخلصها من الظلمات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط5، 2011، ص345.

- المقدمة الغزلية

من أهم المقدمات التي صدر بها شعراء العرب قصائدهم ألا وهي المقدمة الغزلية، فقد جاءت مولية للمقدمة الطللية، كما جاءت محلها في الكثير من الأحيان وانفردت عنها، فالشعر هو المتنفس الذي يتنفس به الشعراء للتعبير عن مشاعرهم وميولاتهم وكذلك اتجاهاتهم والغزل فرع زكي لا يزال يملأ النفوس المراهقة مند القدم ويفعمها بأحاسيس عارمة من الحب والوجد، والبهجة والوصال والهجر[1]، لقد قدم شعراء المولديات قصائدهم بمقدمات غزلية كعادتهم في خطابهم الشعري المعتاد، وتأتي هده المقدمة حيلة فنية لجأ إليها الشعراء ووسيلة للتعبير عن مشاعرهم وتحريك المتلقين، غير أنها لا تحلل من خلال دلالتها الظاهرية في النص الشعري، وإنما من خلال تأويلها تأويلاً دينياً يتسق مع النسق الشعري في القصيدة أي أنه غزل يتجاوز النطاق الحسي البشري إلى نطاق صوفي روحاني بعيدا عن الدنيويات ومن مثل ما قاله أبو حمو موسى في إحدى مولدياته[2]:

و قُل لِسُليمة لستُ أسلوُ بحبها وإنّ
طريق الغيُ لستُ بناهج

ويقول في مقدمة مولدية أخرى[3]:

نَزلَتُم مِن فُؤادي مَنزِلاً حسناً وكل ما سَاءني
في حُبكُم حسنا

بِنتُم فلم اتخذ من بَعدكم سكنا وحُبُكُم
في صميم القلب قد سَكنَا

«وفي المقدمة الغزلية كثيرا ما يجسد الشاعر ناحية للمصطفى صلى الله عليه وسلم، في أحبة نساء، فتطول عنده المقدمة، وتستغرق ما يقرب

1 - ينظر، عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، نقلا عن اسماعيل زردومي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 1994، ص211.
2 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص385.
3 - المرجع نفسه، ص357.

من نصف القصيدة، أو يزيد أحيانا. ومن مثله قول الشاعر "أبي حمو موسى»[1]:

الحب أضعف جسمي فوق ما وجبا والشوق رد خيالي بالسقام هبا

والبيت أشعل نار الوجد في كبدي والدمع يضرمُها في القلب وأعجبا

وقد نجده في أخرى يشتكي سقمه، وألمه، وحرقته التي مزقت أنفاسه، من نأي الحبيب وبعده عنه، والشوق إلى رؤيته، قوله[2]:

ذرفت لتذكار العقيق دموعي وازداد شوقي بحمى ولُوعي

و الحبُ شب أوراه بضُلوعي من لي بشمل بالحُمى مجمُوع

ويحير قلب بالنوى مَصدُوع

لقد اتسمت هذه المقدمات الغزلية بالحشمة، والوقار، والتسامي بالصفات الحسية للجمال، فجردت المعاني الصوفية تعظيما لصاحب المناسبة.

ب - الموضوع الرئيس للقصيدة المولدية

إن موضوع القصيدة في العرف النقدي هو غرضها الذي نشأت من أجله، لأن بقية الموضوعات في البناء الكلاسيكي المعروف، هي في الواقع مقدمات تمهيدية له، والدليل على دلك أن القصيدة التقليدية تستمد تسميتها من الغرض الأخير، فإذا كانت في الرثاء سُميت مرثية وإذا كانت في المدح سميت مدحة وإذا تضمنت الفخر سميت بقصيدة الفخر والأمر نفسه بالنسبة لبقية الأغراض المعروفة[3].

أما القصيدة المولدية، فقد استمدت تسميتها من المناسبة التي نظمت من أجلها. وهي ذكرى المولد النبوي الشريف، وإن كانت الإشادة

1 - المرجع نفسه، ص380.

2 - المرجع نفسه، ص355

3 - ينظر، محمد زلاقي، بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2013، ص141.

بليلة الميلاد في الحقيقة تشكل عنصرا فقط، من مجموع العناصر الأخرى المكونة للموضوع الرئيس، على اعتبار أن المولد يمثل مرحلة من مراحل حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وجانبا واحدا من جوانب هده الشخصية.

- مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)

يعد الحديث عن مقدمة القصيدة المولدية، وخاصيتها المميزة، امتداد للقصيدة العربية، يليها الموضوع الرئيس المتمثل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر معجزاته وفضائله وشمائله؛ حيث يسعى الشعراء إلى تتبع تلك الصفات التي تدخل في تشكيل ملامح الشخصية المحمدية، سواء تعلق الأمر بالأقوال، أو الأفعال، أو بالأحداث. ثم مدح سلطان الدولة أو طلب العفو والمغفرة. فهذا الشاعر "أبو حمو موسى" في إحدى مولدياته يصل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويطلب الشفاعة، ويذكرنا بما أتى به من معجزات النبوة في قوله[1]:

بلادٌ مُقدَسةٌ حَلَهَا نَبي
الهُدَى المُصْطَفى المجتَبي
فشهر ربيع أتى برضيع نبي
شفيع لمن أذنبا
نبي أتى رحمة للعباد
وأظهر للحق نوراً حيا
و نيران فارس قد أخمدت فلله ذلك
ما أعجبا

فوسط القصيدة المولدية هو الركيزة الأساسية للمديح النبوي؛ حيث يفرد لشخصية النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه يتحقق حضور كبير للصفات الخَلقية، والخُلقية للنبي الكريم، كتلك التي تُحدثنا عن صدقه وأمانته، طهره وعفته، جوده وسخائه، رحمته وشفاعته، وَرَعه وتقواه، عدله

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، مرجع سابق، ص228.

وإنصافه، شجاعته وعزمه وبأسه، على نحو مثالي للكمال والجلال خُلقاً وخِلقاً قولاً وفعلاً[1].

فهو بذلك يؤكد على الحقيقة المحمدية التي تعني أن الوجود النبوي سابق على كل الموجودات، ومتقدم على كل الكائنات. ولولا الحقيقة المحمدية لما كان هناك وجود، ولا خلق، ولا نور؛ لأنها العماد الذي قامت عليه قبة الوجود، وهي الصلة بين الله والناس، وهي القوة التي يصدر عنها كل شيء.

فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلب بالضرورة ذكر معجزاته التي تمتزج بالشمائل النبوية ومن ذلك قوله أيضا[2]:

نبي له فضل على كل مرسل أتت
بالسنن الذكرى بذاك فصاحا
سرى فسما فالقرب من ربه إلى مقام
رأى الأملاك عنه نزاحاً
و شق له البدر المنير وقد غدوا
له لا إلى البدر المنير طماحاً
إذا ظمئ الأقوام يوما سفاهم
بماء معين بالأنامل ساحا
بمولده صبح الهداية قد بدا
فزال به ليل الضلال وزاحا

والأمثلة كبيرة في مولديات "أبي حمو موسى الثاني". فالشاعر كان في مديحه، تحيط به هالة من الإعجاب، والهيبة، والوقار، والحب الطاهر النقي، لخير البرية. وبالرغم من ذلك، ومهما قدم بقي عاجزا عن التعبير، أو عن وصف هذه الشخصية العظيمة.

«وما يجب أن نشير إليه، هو أنه لا توجد قصيدة إلاّ وتقوم على مدح خير البرية، وذكر معجزاته وفضائله وصفاته، ثم يستطرد في مدح السلطان الذي رفعت إليه هذه القصيدة ، ومن هنا يمكن القول أن الموضوع الرئيس للقصيدة

1 - ينظر، غازي الشيب، من المديح النبوي في العصر المملوكي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1998، ص78.

2 - ينظر، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، مرجع سابق، ص363.

المولدية يتخلله المديح السلطاني، وفي هذا السياق يمكننا القول ينتقل الشاعر من الشخصية المحمدية إلى الشخصية السلطانية في مديح مزدوج لربط الماضي بالحاضر محاولا استرجاع واستذكار أمجاد الإسلام لينظر من خلالها إلى الواقع الإسلامي مشيدا في الوقت نفسه بإنجازات السلطان، ويأتي المديح السلطاني مباشرة بعد الانتهاء من المديح النبوي للتأكيد على أن خصال السلطان الحميدة مستمدة من أخلاق رسول الأمة»[1].

كما نجد "الثغري التلمساني" يجسد هذا الوضع في انتقاله من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه إلى مدح السلطان، حيث يقول[2]:

شمس الرسالة والنبوة والهدى بدر الجلالة نورها المنسجم
هو رحمة الله التي يهمي بها في الخلق بالحق المبين ويكلم
لما بدت أنوار مولده خبت نار الفارس لم تزل تنضرم

إلى أن يصل الأديب "الثغري" من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدح السلطان أبو حمو موسى الزياني وفي هذا يقول:

يا أيها الملك النقي ومن له شرف على سمك السماك مخيم
أعطيت بالعدل الخلافة حقها فملوكها في حقها لك سلموا
بهرتهم أوصافك الزهر التي منها على زهر الكواكب ميسم

- معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم)

يشكل عنصر المعجزات لبنة أساسية في بناء القصيدة المولدية، وهو في الغالب يعقب الحديث

1 - حازم القرطاجني، المنهاج البلغاء وسراج الأدباء، تج محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1981، ص166.
2 - ينظر، التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعفيان في بيان شرف بني زيان، تج، محمود آغا بو عياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، سحب الطباعة، دط،2011، ص173.

عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته دلك أن هده الأخيرة تعد جزءا هاما من هده الشخصية، وبعدا من أبعادها، فالمعجزات التي خص بها الله رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) دون غيره جعلته أهلا للتميز والفُرادة، وحسبنا دليلا على كثافة ما أنتجه الشعراء في هذا المضمار قصيدة ميمية مطولة تبلغ المائة بيت، يستعرض فيها الشاعر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، والتي جاء فيها[1]:

حدِث عن المصطفى الهادي بلا حَرَجٍ حَرِر
ذيولك في بستانك النعَمِ
إيه وماَ لِرسولِ الله مَن مُعجِزَةٍ
إلا وقَد بَهَرت كالنجم في الظُلَمِ

ومعجزات الرسول كثيرة وقد ذكر شعراء هذه المنطقة بعضاً منها في مدائحهم، ومن أبرز القصائد التي تحدثت عن معجزاته يقول ابن يعلى:

مِن مُعجزاتٍ عزَّ أن يَأْتي بهاَ
بَشَرٌ سِواهُ ومِثْلُها لمْ يُشْهَدْ
كَكلاَمْ ضَبَ والغَزَالَةُ بَعْدَهُ
والذِئْب حَقّا والحَصَا والجَملَدُ

وفي مثل هذا المقام «يقول ظفر أحمد العثماني في بيان المعجزات تسبيح الحجر بيده وحنين الجدع وانشقاق القمر:

زال الظلام ولاح النور في الأفق برق
تألق في داج من الغسق
برق من الطور أو بدر على جبل ببطن
مكة منشق على فلق
بإصبع من يد كانت إشارتها في البدر
أنكى من الصمصام في العنق»[2]

ومن معجزاته إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عروجه إلى السماوات العلى.

---

1 - ينظر، حسيبة عميروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد8 ، عدد 1، جوان2017 ، ص291.

2 - كفايت الله همداني وحافظ محمد بادشاه، المديح النبوي عن شعراء العربية الباكستانيين، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد 25 ،2018م، ص130.

وقد حاول شعراء المولديات أن يستهلوا من خلال توظيفهم لمعجزة الإسراء والمعراج سموا بشخصية المحمدية وفي هذا المضمون نلتقي مع الشاعر التلاليسي حيث قال[1]:

سما الإله العرش والليل أليل من المسجد الأقصى الى المرتقى الأعلى

وكذلك الشأن عند ابن الخطيب في قوله[2]:

سما فوق أطباق السماء مناجيها وكلم تكليما لها لأخذ الفردا

ومن بين المعجزات التي اقترن ظهورها بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، منها ذلك النور الذي لاح عندما وضعته أمه آمنة، فأضاء قصور "بصرى" من أرض الشام.

وفي هذا يذكر ابن كثير أن آمنة بنت وهب قالت: «لقد علقتُ به فما وجدتُ له مشقةٌ حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب»[3]. فهي لم تجد ثقل ولا وحم كما تجده الحوامل، وعندما وضعته وقع على الأرض مستقبل القبلة رافعا رأسه إلى السماء وأنها رأت حين رأت ولدته كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وبعدما ولدته أرسلت إلى عبد المطلب تبشره بحفيده ودخل به الكعبة شاكراً الله.

- مدح شهر ربيع الأول

قام الشعراء في هذه المناسبة بمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شهر ربيع الأول. وقد اعتبروه من أفضل شهور السنة على الإطلاق، ومن ذلك ما جاء على لسان الفقيه الشاعر "أبي محمد عبد المؤمن بن موسى

1 - محمد زلاقي، القصيدة المولدية في المغرب الاسلامي دط، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013، ص171.

2 - المرجع نفسه ص 171.

3 - المرجع نفسه، ص165.

المديوني"، في قصيدة تزيد عن خمسين بيتا ذكر فيها[1]:

شهرُ الربيع يَزورنا يا حبذا
أهلا به من زائر متفقدِ
في كل عام مرة يُهدي لنا أزهاره
ومُبشراً بالمولد
و أيا ربيعٌ لك فوق العُلا فضلاً
ولا تسمع لقولٍ مفندِ
و أيا ربيعٌ لكَ المفاخرُ كُلِها لك
الشُهورُ أدلةُ كالأعبُد
فيك استهَل نبيُنا خيرُ الوَرى في
ساعةٍ طَلعَت بسعدِ مَسعَدُ
و الكُفر وَلى ضَلاَلةً مِن بَعدِه قد هَدّ
ما قد شَادَهُ بمحمدِ

إن المتمعن في هذه الأشعار يلاحظ أن الشاعر قد انتقل من مدح الشخص إلى مدح الزمان (شهر ربيع الأول)، مستخدما في ذلك كل ما وهبه الله من ملكة شعرية تتفجر على لسانه دون تكلف وذلك من أدل تأكيد المدح وتقويته، كيف لا، وهو الشهر الذي ولد فيه سيد البشرية الذي أخرجها من الظلام إلى النور.

- الشوق إلى البقاع المقدسة

إنّ الحديث عن الرحلة إلى البقاع المقدسة من أبرز المضامين التي عالجتها قصائد المديح النبوي وقد انعكست لوعة الاشتياق لزيارة البقاع المقدسة والشوق إلى زيارة النبي الكريم في المنام والحنين إلى المدينة المنورة ومن الأشعار التي تصب في هذا الاتجاه ما أنشده الشاعر عبد الله لسان الدين أبيات تحمل في طياتها حنين مشتاق إلى تلك المعالم المقدسة يقول:[1]

وفي *ذمة الله ركب سروا* ... يجدون والليل مرخى السدول

1 - ينظر، حسيبة عميروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة المسيلة، مجلد 8، عدد 1، جوان 2017، ص292.

نشاوى بكأسين كأس الهوى ... وكأس من الأمن مثل الشـــــــمول

ولعل من أهم موضوعات المولديات هو شدّ الرحال للبقاع المقدسة فهي «من أبرز المضامين التي عالجتها قصائد المديح النبوي بذكرى مولده. وقد انعكست لوعة الاشتياق لزيارة البقاع المقدسة، والشوق إلى زيارة النبي الكريم في المنام، والحنين إلى المدينة المنورة، من أهم الأغراض الشعرية في باب المدائح النبوية عبر العصور، وتتجلى هذه المعاني عند شعراء شبه القارة أيضا، حيث يقول «غلام علي آزاد البلكرامي" يحن إلى المدينة المنورة[1]:

وأجعل صخر رضوى تحت رأسي وأرقد هـــــهنا فوق البلاط

و يختم بالمدينة طول عمري ويجعل مسك تربتها حناطي

و يدفن بالبقيع نحيل جسمي ويستر وجه قبري بالوعاط

ج _ خاتمة القصيدة المولدية

الخاتمة هي آخر أجزاء القصيدة من ناحية بنائها الفني، وهي آخر ما تلتقطه الأسماع. وهي من الأهمية بحيث نالت عناية النقاد القدامى بما يضاهي عنايتهم بالافتتاح، فعدوها قاعدة القصيدة وألحوا على تحسينها.

وقد التزم أبو حمو موسى بالخاتمة في جميع مولدياته، وهي خاتمة مضمونها مألوف عند شعراء المولديات في المغرب الإسلامي، كطلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإبداء الشوق لرؤيته والدعاء له. فضلا عن الصلاة والسلام عليه في غالب الأحيان. وقد اتخذت الخاتمة عند شاعرنا أشكالاً متنوعة، منها:

1 - كفايت الله همداني، ومحمد بادشاه، المديح النبوي عند شعراء العربية الباكستانيين، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد الخامس والعشرون 2018، ص137.

- **التوسل والتشفّع بالنبي الأكرم**

حيث يبدي الشاعر توسله بالرسول الأكرم، رجيا شفاعته يوم الحشر والجزاء، خاصة «بعد أن توالت الأحزان والآلام وطأ الندم قلب الشاعر واشتد إحساسه بالذنب والتقصير في أداء واجبه ومن ذلك قول الأمير أبو حمو موسى»[1]:

توسلت بالمختار من آل هاشم أَجِرني من النار التي أضرمت وقداَ
نبي أتى والكُفر بادٍ ضلاله فأهدى الهُدى للخلق يا حُسن ما أهدى
هو الرحمة الهادي الشفيع لنا غدا هو المُصطفى المُختار يُلهمنا الرُشدَا

_ التحية النبوية (الصلاة والسلام)

والصلاة في هذا المقام بمعنى الدعاء، كأن (نصلي على النبي) لقوله تعالى(إن الله وملائكته يُصلون على النبي، يا أيها الدين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (الأحزاب/56).

ولأهمية الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام نجد شاعرنا "أبا حمو موسى الثاني" يختم معظم مولدياته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كمثل قوله[2]:

و صَل صلاة على المختار من مضرِ ما لاحت الشُهُب في الأفاق كالسراج

و يقول في أخرى[3]:

أهلا بمولد خير الخلق حين بدا وفاض منه على الأفاق نور الهدى
أرجو شفاعته يوم الحساب غدا يارب صلى الله عليه وسلم دائما وأبداً

وهنا نجد شاعرنا في معظم قصائده يختمها بالصلاة والسلام على النبي المصطفى والتوسل لقضاء الحاجات وطلب الشفاعة منه.

_" السلام: ويقترن عادة بالصلاة على الرسول محمد تحية المسلمين، وأهل الجنة ألا وهي السلام

---

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص392.
2 - المرجع نفسه، ص344.
3 - المرجع نفسه، ص351.

عليكم، ليختم حديثه بعد أن أشاد بمعجزاته وليلة مولده وذكر أطيب شمائله الخَلقية والخُلقية، والتشفع له كونه خير خلق الله عز وجل وقد نجد شاعرنا يبعث سلاما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ممزوج بعبارات الشوق والمحبة والهيام، يقول في هدا السياق[1]:

سلامٌ كريمٌ من مُحب مُتيم بحبك مشغوف بذكرك لاهج
سلامُ من المُشتاق موسى بن يوسف مقيم بأقصى الغرب سَدت نواهج
على المُصطفى وآل والصحب كُلهم ومالي لذنبي سوى المُجتبي

وقد يجمع الشاعر في مولدياته بين الصلاة والسلام فهنا نجد شاعرنا أبو حمو موسى جمع بينهما في خاتمة مولدياته إد يقول:

صلى عليه آله العرش خالقنا ما غنت الطيرُ في أفنا بها طَرَباً
ثم عليه السلام دائما أبداً ما أطلَع الأُفق من أنواره شُهُباَ

وبهذه الطريقة كان الشعراء الزيانيون يختمون مولدياتهم بالصلاة والسلام والتضرع لطلب الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم، ونخص بالذكر من الشعراء الزيانيين: شاعرنا "أبا حمو موسى الثاني"؛ إذ لا نجد مولدية تخرج في خاتمتها عن هدا المضمون، فقد جاءت جل القصائد المولدية على هدا الشكل من مقدمة غزلية لا تكاد تخرج عن مقدمة القصيدة العربية، ومضمون يحوي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدح السلطان وخاتمة تتطلب طلب المغفرة والشفاعة من خير الأنام.

1 - المرجع السابق، ص386.

الفصل الثاني

جمالية المكان في المولديات

أولا = الجمال والجمالية المكاني

1- الجمال

لا بد أنه لا يخلو أي نص أدبي من تساؤلات القارئ عن مدى احتوائه على جمال قد يجعله يرسخ في ذهن القارئ ومدى فاعلية هذا النص، وتأثيره في المتلقي مما يجعله مختلف عن باقي النصوص الأدبية. كل هذه ربما تكون تساؤلات في هذا القارئ عن مدى احتواء النص على عناصر جمالية، تجعله نص متميز بحصول الانجذاب أو الانطباع، ومنه سوف نتطرق إلى تعريف الجمال لغة واصطلاحا.

أ - لغة: إن المتتبع لجذور كلمة الجمال في المعاجم العربية يجد أنها جاءت في معجم لسان العرب: «والجمال مصدر الجميل والفعل جمل وقوله عز وجل : (**ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**) - النحل/6، أي بهاء وحسن وابن سيدة يرى: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق وقد جمل الرجل، بالضم جمالا فهو جميل، وجمال بالتخفيف، هذا عن اللحياني، وجمال الأخيرة لا تكسر والجمال بالضم والتشديد أجمل من الجميل، وجمله أي زينه، والتجمل تكلف الجميل، أبو زيد: جمل الله عليك تجميلا: إذا دعوت له أن يجعله الله جميلا حسنا. وامرأة جملاء وجميلة. قال:

وهبته من أمة سوداء ليست بحسناء ولا جملاء

وقال الشاعر:

فهي جملاء كبدر طالع بذات الخلق جميعا بالجمال

وفي حديث الإسراء، ثم عرضت له امرأة حسناء جملاء أي جميلة مليحة ولا أفعل لها من لفظها كديمة مطلاء، قال ابن الأثير: والجمال يقع على

الصور والمعاني، ومنه الحديث إن الله جميل يحب الجمال أي حسن الأفعال كامل الأوصاف، قال بن سيدة يجوز أن يكون أجمل فيه بمعنى جميل وقد ويجوز أن يكون أراد ليس بأجمل من غيره»[1].
وبالتالي إن الأصل اللغوي لمفهوم الجمال لا يتوقف عند المعاني الحسية كجمال الوجه وحسن الملبس فقط، بل يتعداه إلى معانٍ وأبعاد معنوية كجمال الفكر والعمل؛ فالجمال يكون ذا جانب معنوي في المقام الأول.

ب - اصطلاحا

وإذا انتقلنا للفكر الغربي فإنّ «أول من فرق بين علم الجمال وبقية المعارف الإنسانية، هو المفكر" بومغارتن" الذي أطلق على علم الجمال لفظ الإستطيقا، إلا أن هذا اللفظ يعود تاريخيا إلى عهد اليونان، عندما قُصد به العلم المتعلق بالإحساسات طبقا للفظ اليوناني "إستيزس" ومجال بحثه الأشياء الموصوفة بالجمال وتكوين المعايير والأسس التي تساعد على التقدير الجمالي، ولقد تعددت التعريفات حتى قال "بول فاليري" "و إن علم الجمال هو علم الحساسية"، أما في الوقت الحاضر فقد عرف بأنه "كل تفكير فلسفي في الفن" حين يرى الإنسان منظرا طبيعيا أو عملا فنيا، يشعر نحوه بشعور قوي، يدفعه إلى التأمل»[2].
وانطلاقا من هذا يمكننا طرح التساؤل الآتي: أين تكمن جمالية المكان؟

إذا ما تعاملنا مع النص الأدبي بحواسنا لابد أننا سنصل إلى جمال يجسده ذلك التجلي للأفكار التي يشعر بها الإنسان، ولكي يستمتع الإنسان بجمالية المكان في النص الأدبي سواء نثر أم شعرا فهذا يقف على ما يشعر به الإنسان اتجاه الأشياء التي يستنبطها ومدى تأثيرها في نفسيته، فيصبح الجمال هو المرتكز الرئيسي

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج2، ص324.
2 - هديل بسام زكارنة، المدخل إلى علم الجمال، دط، 1993، المعهد الدبلوماسي الأردني، ص9.

الذي يسعى إلى كشف مكنونات النص الأدبي، وعلى هذا فالإحساس بالجمال في النص الأدبي يُعد الركيزة الأساسية لتتذوق نكهة النص الأدبي. ومنه نستشف أن هذا الذوق لا يتحقق إلا بعد خطوات مهمة الشعور بالعمل في البداية، بعدها فحص النص والتنقيب في مكنونه، ثم تحليله وفق الشعور خالص، بما يحمله هذا النص الأدبي من جمالية، ثم تركيب واستقراء النص، إلى الاستنباط، والفهم، والحس الجمالي المرهف. وعليه فإنّ جمالية المكان تتحقق بالذوق والذكاء والتجارب، إلى أن نصل إلى مرحلة الحكم على النص الأدبي بإضفاء صور جديدة للمكان. وذلك عن طريق الذوق الفردي.

2 ـ المكان وأنواعه

أ ـ مفهوم المكان

لا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظة مكان من معنى، ويعد لسان العرب لابن منظور، أكثر هذه المعاجم عرضا وتفصيلا لهذه الصيغة، وأغلب المعاجم العربية وحتى القواميس، تستند إليه في تعريفها للمكان، وقد أردنا أن نقدم أهم التصورات والمقاربات المتعلقة بهذا المفهوم، التي أفادتنا بها هذه المعاجم في مقدمتها لسان العرب، موزعة على المستويات الأتية:

ـ المستوى الصرفي

أورد ابن منظور لفظ مكان تحت الجذر (كَ و ◌َ نَ) من الكون(الحدث)، «المكان والمكانة واحد، والمكان في أصل تقدير الفعل مَفْعَلُ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه غير أنه لما كثر أجْرَوهُ في التصريف مُجْرَى فعال، فقالوا: "مَكَنًا له"، وقد تمكن وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن ... والمكان الموضع ذو الجمع "أمكنة"، وأما "أماكن" فهي جمع الجمع»[1]. والأرجح أن يكون المكان مشتق من كون على وزن مفعل من الكون،

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص161.

كموضع ومقعد ... وكونه تكوينا أحدثه الله تعالى مكون الأشياء أي مخرجها من العدم إلى الوجود، ومنه فالمكان جمع أمكنة وأمكن وجمع الجمع أماكن وهو مفعل من الكون.

- المستوى النحوي

نلحظ في هذا المستوى أنّ "المتمكن" في النحو، هو الاسم الذي سلم من شبه الحرف أي مبنيا، وفي هذا الإطار يقول بن سيدةً «والمكانة المنزلة عند الملك ذو الجمع مكانات، ولا يجمع جمع التكسير، وقد مكّن مكانة، فهو مكين، والجمع مُكناء وتمكن كمُكْن، والمتمكن من الأسماء ما قبل الرفع والنصب والجر لفظا كقولك زيدٌ وزيداً وزيدٍ كذلك غير المتصرف كأحمد وأسلم»[1].

قال الجوهري: «ومعنى قول النحويين في الاسم إنه متمكن أي أنه مُعرب كعمر وإبراهيم، وغير المتمكن هو المبني ككيف وأين قال ك ومعنى قولهم الظرف إنه متمكن أنه يستعمل مرة ظرفا ومرة اسما كقولك: جلست خلفك فتنصب ومجلسي خَلفُكَ، فترفع في موضع يصلح أن يكون ظرفا إلا ظرفا كقولك لقيته صباحا وموعدك صباحا، فتنصب فيهما، ولا يجوز الرفع إدا أردت صباح يوم بعينه.

- المستوى الدلالي:

والمكانة في هذا المستوى تدل على «التُؤدة، وقد تمكن ومرَّ على مكينته، أي على تُؤدية، وأورد أبو زيد: يقال أمشي على مكينتك ومكانتك، أي على اتئاده. وفي التنزيل العزيز (**اعلموا على مكانتكم**)، أي على ناحيتكم وقيل: معناه أي على ما أنتم عليه مستمكنون»[2]، ويضيف الزمخشري: «مكنته من الشيء، وأمكنته منه، فتمكن منه واستمكن: ويقول المصارع لصاحبه: مُكنى من ظهرك، أما أمكنني الأمر

---

1 - المرجع السابق، ص160.

2 - المرجع السابق، ص161.

فمعناه أمكنني من نفسه»[1]. وفي التنزيل الحكيم وردت لفظة مكان بمعنى المستقر ومنها قوله تعالى (**واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقياً**) - [مريم/41]، أي اتخذت لها مكاناً وقال تعالى كذلك (**واستمع يوم يُنادي المُنادى من مكان قريب**) - [ق/41]، وبمعنى المنزلة الرفيعة في قوله تعالى: (**ورفعناه مَكاناً علياً**) [مريم/57].

ب ـ اصطلاحا :

في محاولة للوصول إلى المفهوم الاصطلاحي، فقد تباينت الآراء حول مفهومه، ويبدو أن المفهوم الاصطلاحي للمكان لم ينشأ مستقلا عن المفهوم الفلسفي. بداية نشير إلى قضية المكان شغلت الفلاسفة القدماء قبل سقراط(470ـ399م). وإن كانوا لم يفردوا (للمكان) كتبا مستقلة، ولم يقدموا تصورا مُنظما حوله. وحين تناول أفلاطون مفهوم المكان بالدراسة رأي أنه «الحاوي للموجودات المتكاثرة ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس علم الظواهر الحقيقي»[2]، أي أن مصطلح (المكان) يضم كل الأشياء، ولا يستقيل عنها، ويقبلها ويتشكل، ويتجدد بها ومن خلالها. وهو بذلك «لا يقبل الفساد ويوفر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث»[3].

أما أرسطو فقد تناول موضوع (المكان) بشيء من التفصيل والدقة، وبخاصة في كتابه "السماع الطبيعي" (physico) الذي وضع فيه كل اجتهاداته حول المكان، يذهب أرسطو إلى أن المكان هو «الحد اللامتحرك المباشر الحاوي أو السطح الحاوي من الجرح الحاوي المماس للسطح

---

1 - الزمخشري، أساس البلاغة، تج محمود فهمي حجازي، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، ج 2، ص401.

2 - جودي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012 - 2013، ص18.

3 - المرجع نفسه، ص18.

الظاهر للجسم المحوي»[1]. وبحسب تصوره فالمكان موجود ولا يمكن نفيه، أو إنكاره ما دُمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان لآخر.

ومما سبق يمكن القول إن رؤية أرسطو للمكان تتلخص في النقاط الآتية:

أنه يتضمن الأشياء / أنه مساوٍ للمحوي(الشيء) / أن فيه الأعلى والأسفل / أن فيه الخاص والمشترك.

فالمكان الخاص هو الحيز الذي شغله الجسم بمقداره والمكان المشترك هو الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر على حد قول أرسطو[2].

أما المكان هندسيا فهو: وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وهو متصل ومتجانس لا نميز بين أجزائه، ودو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع. وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد، نشأ عنهما مفهوم جديد، هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد: هي الطول، والعرض، والارتفاع، والزمان.

ولم يكن اهتمام الجغرافيين بالمكان أقل من اهتمام غيرهم، حتى أن الأمريكي "ألكبو" عرّف الجغرافية على أنها «علم المكان من حيث خصائصُه وعلاقاته»[3].

وكذلك الحال بالنسبة لعلماء الاجتماع حتى أن بن خلدون قد وضع خصائص للمكان، يجب مراعاتها عند إقامة أية مدينة، من حيث صحة إقامتها، وملاءمتها للمعيشة

---

1 - محمد عبد الرحمن مرحباء، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1987، ص171.

2 - جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2012 - 2013، ص13.

3 - غيداء أحمد سعدون شلاش، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 11، العدد 2، المكان والمصطلحات المقاربة له ـ دراسة مفهوماتية، 2015، ص236.

الإنسانية. كما عرف عالما الاجتماع "ستوكولز وشوماخر" (المكان) بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك[1].

أما علماء النفس فإنّهم يؤمنون بأن حقيقة المكان النفسية تقول أن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة من وسائل قياسية تستهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية.

وبهذا التقديم لمفهوم المكان تتضح أهمية وشيوع استخدامه لما له من مساس بوجود الإنسان ومتعلقاته الشيئية، فضلا عن رؤيته الخيالية والذاتية. فهو مفهوم متناوب بين الذاتية والواقعية له؛ في حين يستقطب هذا المفهوم اهتمام دارسي الأدب، كونه يعكس رؤية الأديب، فضلا عن واقعية وجوده، لذا تميز هذا المفهوم في الدراسات الأدبية بخصوصيات مهمة.

وإذا كان مفهوم المكان شغل الفلاسفة اليونان، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، فقد كان محط انشغال الفلاسفة العرب أيضا. وقد صنف "حسن مجيد الربيعي" آراءهم فيه قبل بن سينا إلى ثلاث اتجاهات هي[2]:

الأول: يذهب إلى أن المكان (سطح الجسم الحاوي) وبه قال الكندي والفارابي وإخوان الصفا وفلاسفة بغداد.

الثاني: وهو معارض للأول وهو ما صرح به أبو بكر الرازي، إذ يرى أن المكان يُعد لا متناه، وقد ميز نوعية من الأماكن أولهما: الكلي أو المطلق، وهدا يساوي الخلاء، ولا يوجد فيه متمكن وثانيهما: المكان الجزئي وهدا ما لا يمكن تصوره بدون متمكن لأنه لا ينتهي بنهاية الجسم، بل هو موسع في الجهات، وفي هدا دلالة متكونة للمكان تخرج عما كان عند عرب الجاهلية وصدر الإسلام، إدا كان المكان عندهم دوما هو مكان

1- المرجع السابق، ص236.
2- المرجع السابق، ص236.

الشيء، لا ينفك عن المتمكن فيه حتى على صعيد التصور.

أما الاتجاه **الثالث:** فهو اتجاه ابن الهيثم الذي عارض فيه سابقيه، في حين أيده به الفيلسوف لبن رشد، إذ برهن على ما مفاده أن المكان هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي كما عده متخيلا يُحيط بالجسم، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة وهي مفاهيم متطورة تدل على عمق تفكير الفلاسفة العرب.

ب - أنواع المكان

تختلف الأمكنة بين مكان مغلق إلى مفتوح وآخر عام وخاص وكذلك مكان طبيعي، ولكل منه صفاته الخاصة به، ونحن في دراستنا لهذه الأمكنة التي استحضرها أبو حمو موسى الزياني في مولدياته سنقف عند الأمكنة البارزة.

- **الأمكنة المفتوحة:** هي الأمكنة التي تبحث في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، كما أنها أماكن ذات مساحات واسعة توحي بالمجهول حيث تتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة، فهي تحقق للإنسان المودة والألفة كالمدينة، والمكان المفتوح هو المكان الذي لا تكون مساحته ضيقة ويخرج عن نطاق الغرفة.[1]

- **الأمكنة المغلقة:** هي الأمكنة التي تكون مساحتها محدودة، كغرف البيوت، قد تكون هذه الأماكن مصدر للخوف في حين أنها قد تكشف عن المودة والألفة، كما تعد الأمكنة المغلقة من الأماكن التي يعيش فيها الإنسان فترات طويلة من الزمن.[2]

- **الأمكنة العامة:** هي الأمكنة المتاحة للجميع، وليست ملك لشخص معين، بل تعتبر ملكا للدولة، يمارس فيها الفرد مختلف نشاطاته اليومية، والهدف الأساسي من هذه الأمكنة هو اهتمام الدولة

---

1 - ينظر، مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد)، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق2011 م، ص50.

2 - ينظر، المرجع السابق، ص43.

بأفراد المجتمع وضمان راحتهم لهذا تعد الشوارع من أكثر الأمكنة التي يتنقل فيها الناس[1].

- **الأمكنة الخاصة:** هي الأمكنة التي تخص الإنسان وحده، لا شريك معه فيها، له حرية التصرف فيها كما يشاء مثل غار حراء الخاص بالرسول.

- **الأمكنة الطبيعية:** هي الأمكنة الساحرة ذات الجمال الرباني يتميز بعضها بالهدوء والسكون والهيجان في آنٍ واحد مثل البحر والنهر، والبعض الأخر يتميز بالقحط والحرارة كالصحراء.

ثانيا: تجليات المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني

برز المكان بكثرة في مولديات "أبو حمو موسى الزياني" حيث نجده يفسح المجال لإظهار المشاعر و الأحاسيس للقارئ الذي يغوص في كل ماهو دلالي وفي هذا الموضع يقول فوسيون، «إن الشكل هذا المظهر الخارجي للقصيدة، الذي يغلف المعنى، ليس فقط هو مجموع البنيات الإفرادية والتركيبية، إنه أيضا ذلك العمق الدلالي الذي لا يمكن الحصول عليه إلا من خلال تعاليق البنيات»[2].

شغل المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني الثاني حيزاً كبيراً واتخذ كل من تلمسان، والبقاع المقدسة مكانا تدور فيه الأحداث. ولا شك أن المكان يمثل محورا أساسياً من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب. غير أن المكان في الآونة الأخيرة، لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كما أصبح المكان ينظر عليه على أنه عنصر شكلي وتشكلي من عناصر العمل الفني، فتفاعل العناصر المكانية يشكلان بعدًا جماليا من أبعاد النص

---

1 - ينظر، محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، دط، وزارة الثقافة، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م، ص50.

2- خميس رضا، خصائص البناء في الشعر المولدي عند أبي حمو موسى الثاني الزياني، دط، منشورات دار الأديب، وهران، دت، ص13.

الأدبي. وللإحاطة بالأمكنة حسب اتساعها وانفتاحها، فقد تجلت في مولديات أبي حمو موسى بين الأمكنة المغلقة، والأمكنة المفتوحة، والعامة، والخاصة، وكذلك الأمكنة الطبيعية.

1- الأمكنة المفتوحة

أ – نجد

بداية نشير إلى مفهوم المدينة، وهي تلك التجمعات السكانية، لها أهمية كبيرة تميزها عن المستوطنات الأخرى، ويختلف تعريف المدينة من مكان إلى آخر، ومن وجهة نظر إلى أخرى، كما تعد من الأماكن التي تحقق للإنسان المودة والحب كمدينة نجد ومدينة تلمسان، فالمدينة تعتبر من الأماكن الإيجابية التي يمارس فيها الإنسان نشاطاته المختلفة، وقد تجلت المدينة في مولدية أبي حمو موسى في قصيدته نزلتم من فؤادي منزلا حسنا وهي إقليم نجد يقول[1]:

يا حاديي ظعنهم نحو الديار قفا ننشد
فؤادا بذاتك الحي قد تلفا
وسائلا بربي نجد لمن عرفا قولا لهم ذلك
المشتاق قد شغفا
وقلبه بأليم الشوق قد طعنا

إنّ الشاعر يدعو صاحبيه للوقوف على الديار الظاعنة، أصحابها ويخاطب أهل نجد ترى هل يبلغون سلامهم لمن شغف قلبه بحبهم، وأن الشوق أثقل كاهله، فالشاعر يبكي فراق الأحبة، والمعروف أن نجد هي مدينة في السعودية، فهذا يدل على أن الشاعر متشوق للرسول صلى الله عليه وسلم في المقام الأول، فحبه للبقاع المقدسة جعله يختار إقليم نجد ليخاطب أهلها، فذكره لهذه المدينة بالضبط ما هو إلا حالة على ذكر البقاع المقدسة وكأنه يقول هل مروا من هنا؟ فهو لم يصرح لمخطابته لركاب الحجيج المنتقل إلى أداء فرائض الحج، بل جعل هذه المدينة فضاء مفتوحا وتشكل المدينة إحدى الفضاءات

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وآثاره، مرجع سابق، ص349.

الأساسية فالتنقل بين مدينة وأخرى يكشف عن طبيعة العلاقات التي يقيم فيها الأشخاص.

لقد خص "أبو حمو موسى الزياني" إقليم نجد كونها ممر الحجيج نحو البقاع المقدسة فهي مدينة من أهمى أقاليم شبه الجزيرة العربية، فهي مفتوحة وتشكل امتداداً ليست للشاعر فحسب بل تحقق الأُلفة بين كل من مر بها، و المكان المفتوح هنا المتمثل في نجد وتعد هذه الأخيرة جسر تواصل بين الشاعر وأحبائه الضاعنين، ونجده يذكرها في موضع آخر من نفس القصيدة يقول[1]:

هل مُخبرٍ كَيْف أحبابِي ومَا صَنعوا أَبا لحَمَى خَيَموا أَمْ عنْهُ قَدْ رَجَعوا
سَاروا بَقَلبي وشَمْلي بالنَوى صَدَعوا يَا لَيْت شُعري بذَاكَ القَلْب هَلْ قَنعوا
أَمْ هَلْ أبْشر في نَجْد بأُلفَتِنا

فالشاعر يشتكي هم أحبابه مرة أخرى، ويذكر إقليم نجد فهذا التكرار للمكان المفتوح إنما يدل على مدى أهمية هذا المكان بالنسبة للشاعر، فقد احتلت مدينة نجد في هذه القصيدة مكانة بارزة، وهناك شعور بالشوق والحنين للرؤية وللقاء الأحبة، فهذه المدينة تعد متنفس للشاعر يفرغ فيها مشاعره الملتهبة فهذا الموضع يربط فيه "أبو حمو موسى" بين واقعه النفسي وأحاسيسه، فيرى هذا المكان ذاتاً تنبُض وتتجاوب معه، فهذا المكان المفتوح طغى على الأنا الشاعرة فيرى فيها أنها تصنع ذاته.

ب - تلمسان

لقد شغل المكان المفتوح في مولدية "أبي حمو موسى الزياني" حيزا كبيرا فقد اختلفت الأمكنة ولكل مكان صفات خاصة به. وانطلاقا من مولديته (نام الأحباب ولم تنم)، فقد نجد مدينة

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص349.

تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي يقصد بها التل والصحراء معاً يقول[1]:

جِسْمِي بتِلَمْسَان دَنَفٌ والقَلْبُ رَهِيْنُ بالحَرَمِ

فبالرغم من حب الشاعر الواضح في هذا البيت إلى مدينة تلمسان، إلا أن قلبه متعلق بالبقاع المقدسة ولا يمكن إطفاء نار شوقه اتجاه هذه الأخيرة والحنين إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمدينة تلمسان مكان مفتوح، وبما أنها مدينة ثقافية فهي قبلة الجميع، يأتون إليها من كل حدب وصوب، وكذلك عرفت تلمسان بأنها قاعدة المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة وهذا بسبب ما كانت تحتوي عليه من زوايا ومدارس وكتاب ومساجد منها مسجد الإمام الذي أنشئه أبو حمو موسى الزياني، كما لا يمكن أن نغفل عن ماضيها المزدهر، ذات المعالم الأندلسية.

و"أبو حمو موسى" من شدة حبه للبقاع المقدسة جاشت قريحته، فكانت مكة المكرمة مكان مقدس، ترك كبير الأثر في زائريه وهذا لارتباطها بالدين عامة، والنبي خاصة. فالشوق والحنين إلى البقاع المقدسة، قد شكل ملمحًا ظاهراً، وبارزاً في شعر أبي حمو موسى الزياني، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل عن المرجعية الدينية التي يتحلى بها أبو حمو موسى، فالارتباط بالمكان حاجة حميمية لدى الإنسان، لاسيما عند الشعراء كما هو الحال بالنسبة لشاعرنا.

2 - الأمكنة المغلقة

أ - القلب

قبل الولوج إلى المكان المغلق، يجب أن نشير إلى أنه تجسد في مولدياته بشكل بارز، فأبو حمو موسى في مقدمات مولدياته، يظهر نوعا من الشوق والحنين للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لكن الظروف حالت بينه وبين حبيبه.

---

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص343.

فكلمة (قلب) التي وظفها الشاعر بكثرة والتي تعد من الأمكنة المغلقة الإجبارية.
وهذا إنما يدل على أن الشاعر اشتدت أشجانه شوقا وحنينًا إلى الرسول الأكرم. فالشاعر نفذ صبره، فصار يسأل الركبان، يقول[1]:

هَجَرْتُم دُونَ ذَنْبٍ لا ولا سَبَبٍ قَطَعْتُم القَلْبَ بالتَبْرِيح والوَصْب
فَظَلَتْ منْ حرِ نَارِ الشَوْقِ في لَهبٍ أُعاتِبُ الدَهْرَ في مَا جَرى مِنْ نُوبٍ
يا دَهْرُ أَفْجَعْتَ قَلْبي بالنَوَى زَمَنَا

فالشاعر يبكي ذلك الهجر والبعد الذي كوى قلبه، فهذا يدل على أن قلب الشاعر ودون رضى منه يتحمل هذا الشوق والهجر للأحبة، وبحسب قراءتنا لأبيات القصيد فإن بنية المكان المغلق تشكل حضورا دائماً خاصة هذا المكان المعنوي(القلب)، والسبب في ذلك هو الحنين لزيارة ديار لطالما حلم برؤيتها و يقول في موضع أخر[2]:

هل مخبر كيف أحبابي وما صنعوا أبا الحمى خيموا أم عنه قد رجعوا
ساروا بقلبي وشملي بالنوى صدعوا يا ليت شعري بذاك القلب هل قنعوا

فقلب الشاعر مفعم بالحنين لتلك الديار والأحباب فهو يشتكي الهجر، فتكراره لكلمة قلبي دلالة على أن يحمل شوق كبير فهو بمثابة الصندوق، فالتشبع الديني العميق لأبي حمو موسى جعل حبه للرسول الكريم وجداني خالص فكانت وسيلته للتعبير عن كل هذا الشجن والبين، إلا هذه القصائد رفقة الحجاج القاصدين بيت الله، لعله يشفي غليله، ويطفئ نيران الشوق المنغرس في ثنايا القلب، ويواصل الشاعر في قصيدة نزلتم من فؤادي منزلا حسنا تلك المشاعر المتوهجة فيقول[3]:

---

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص349.
2 - المرجع نفسه، ص349.
3 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص350.

لقد أضر بقلبي لاعج الوهج وقد مزجت بدمعي كل ممتزج
والشوق أثر في الأحشاء والمهج فالله يعقب بعد العسر بالفرج
فيسعد السعد والأيام تجمعنا

ها هو الشاعر يدقق في هذا المقام أكثر، ويبرز ضرر قلبه من هذا الفراق للرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا المكان المغلق كما أسلفنا الذكر يحيلنا إلى الشوق بلغ منتهاه، تجاوز الحدود لدرجة أنه يطلب الفرج الإلهي، عسى أن يسعد قلبه بفرج قريب ويزهر ثنايا الروح، ويسعده بلقيا من اشتاقت لرؤيتهم الروح.

ب - البيت

سجلت الأماكن المغلقة حضورا بارزا في مولديات "أبو حمو موسى" فهذه المرة سوف نتناول البيت كمكان مغلق اختياري ،وهذا الأخير هو الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة ،لهذا فالشخصية تسعى إليه بإرادتها من دون قيد أو ضغط؛ لأن اختيار المكان بالإرادة لا بالإجبار عكس المكان المغلق الاجباري ،وعليه فالبيت هو الذي يبعث على الاستمرارية ،وهو الذي يحفظ الانسان وهو الركيزة التي تحمل الألفة والمحبة، فالشاعر جسد لنا (البيت) في قصائده، في أكثر من موضع، ومن خلال القصيدة الموسومة بـ (نزلتم من فؤادي منزلا حسنا)، سوف نستنطق هذا المكان يقول[1]:

وأبصر البيت والأركان والحللا أطوف سبعة أشواط به رملا
وانثنى لمنى قد خرت كل منى

فمن خلال هذين البيتين من القصيد، فالبيت المقصود، والذي اختاره الشاعر هو بيت الله الحرام، ربما يتباين ويتنوع الوافدون لزيارة هذا البيت الطاهر، فيرتحلون له من كل حدب

1 - المرجع نفسه، ص351.

وصوب برغبة منهم ،فهو قبلة لكل مسلم ومسلمة، وجسر تواصل بين العبد وربه، فبيت الله الحرام يحمل دلالة الألفة والمحبة لأداء الشعائر الدينية، إضافة إلى هذا فإنّ (البيت) يرمي إلى أبعاد اجتماعية، فالبيت الوارد في القصيد هو الذي يحوي قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو شغف كل مسلم لزيارة هذه الأرض الطيبة، وقد شغل البيت حيزا هاما في حياة الإنسان، فإذا كان البيت العادي يحوي وملجأ كل إنسان بعد يوم من العناء والشقاء، ومصدر الأمن والطمأنينة والراحة التي يسعى إليها كل شخص. إنّ (البيت) المتمظهر في قصيدة "أبو حمو موسى"، هو بيت منزه من كل الشوائب، وهو الذي يطوق لرؤيته، وهو مصدر الأمان الروحي، وأداء مناسك وشعائر دينية والتطهير من الذنوب، وهو الملاذ لتلك الراحة النفسية. فالشاعر يهيم لأداء تلك الشعائر؛ اذ نجده يذكر (منى)، والطواف سبعة أشواط، كل هذا ما هو إلا شوق للبقاع المقدسة.

فهذا الاختيار للأمكنة التي تعلقت أماله برؤيتها، يجسد رؤى الشاعر وتصوراته. فعلى الرغم من كون المكان في هذا الموضع مغلقا، إلا أنه يظل اختياريا، يصبو إلى آمال الشاعر. وعليه نستشف أن الشاعر سيطرت عليه عواطف الحنين والشوق، فصاح بهذه القصائد المعبرة على المشاعر الصادقة، كلها لوعة لهذا المكان المقدس. فالشاعر لم يكتف في هذه القصيدة بذكر أمكنة يحن لرؤيتها، بل راح يمدح ويرجو شفاعة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، يقول في هذا الصدد في مولديته (نزلتم من فؤادي منزلا حسنا)[1]:

أهلا بمولد خير الخلق حين بدا وفض منه على الآفاق نور الهدى
أرجو شفاعته يوم الحساب غدا يا رب صل عليه دائما وأبدا

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص351.

فالشاعر يشتاق من جهة، ويرجو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، عسى أن تكون قبلته البقاع المقدسة.

3 - الأماكن العامة والخاصة

تنقسم الأماكن إلى قسمين منها الأماكن العامة ومنها الخاصة، أما عن العامة فهي حق على جميع الناس في الاستفادة منها، دون المساس بحرية وحقوق الآخرين، الذين بدورهم يستفيدون منها. أما الخاصة فهي تابعة للفرد فقط وحده، وله حرية التصرف فيها كما يشاء، له الحق في بيعه أو تقديمه.

أ ـ الأمكنة العامة

ما يميز المكان العام عن الخاص هو عدد الأفراد الوافدين عليه، فهو ملجأ يُجتمع فيها لأنه ليس ملكا لأحد فيها أي تعني حرية الجماعة وتسقط حرية الفرد، ومن الأماكن العامة التي وردت في مولدية "أبو حمو موسى" نجد:

- القبر

تجلى هذا الأخير في مولديته الموسومة بعنوان (ألفت الظنى)، يقول[1]:

القَبْر التُهَامي لبَدْرِ التَمَام
لخَيْرِ الأنَام شَفِيعاً حَبيبًا
فَبَلِغْ إلَيْه سَلَامي عَلَيْه فإن
لَدَيْه لِسَقْمي طَبِيبَا
و إنْ جِأتَ نَجْدا وطَبيْبَا فَشُق
ثَرَاهَا بدَمْعٍ سَكيْبا
فَقَبْرُ الرَسُولُ مُنَاي وسُؤْلي عَسَى بالوُصُولِ
سأحْظَى نصيْبَا.

فقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يشتاق له الشاعر "أبو حمو موسى" هو مكان عام، يلجأ له جميع المسلمين لإقامة شرائع دينية، ومن خلال هذه الأبيات يتبين أن القبر هو مكان يقصده المسلمون لرؤية قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فهو يحمل مكانة خاصة لدى الشاعر، فكلمة (قبر)

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص367.

دلالة على شدة الشوق وأنه أصبح مُنى الشاعر الوصول لرؤيته، هذا المكان يعني الكثير لأبي حمو موسى، إذ ما تجاوبنا معه عاطفيا مع المشغوف، وتلمسنا حبه وشوقه أمكننا أن نلمس الدفء في الحجارة دعنا نقول القبر، فلوعة الاشتياق التي أثارت لوعة الفراق لدى الشاعر لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، تتأرجح بين الذكرى الجميلة والفقد المرير لخير البرية، إنه مكان ليس كسائر الأمكنة، إنه مكان خاص في قلب الشاعر.

وعلى الرغم من أنه قبلة كل من يشغف لرؤيته ولمسه لتطمئن وترتاح الروح كالنبي المصطفى فهو مقام خاص أورى فيه ثرى النبي إلا أن معنى الشاعر له خصوصية تحويل المكان وتأميمه لغرضه الخاص، لكن المكان هنا تحديدًا القبر والذي يحن لرؤيته من كل فج عميق وبالتالي، فإنه على العموم مكان عام يأتيه من كل حدب وصوب. وعلى هذا فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة قديمة، وراسخة في الذات البشرية. ومنه نستشف أن شاعرنا في مولديته يبين ارتباطه بقبر النبي، والشوق للبقاع المقدسة، فارتباطه به ارتباط إيجابي، فقد دل أبو حمو موسى على هذا المكان لإبراز معاناة الشوق والحنين، ولكنه جسدها بصورة جمالية على اعتبار أنّ قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

- طيبة

وردت الأمكنة في القصيدة نفسها وتجلت في مكان عام آخر وهو طيبة يقول "أبو حمو موسى"[1]:

إذَا هَبَتْ الرّيحُ مِنْ طِيبَة تَعَطَرتْ
الأَرْضُ مِسْكًا وطيبَا
فأَصْبُو إليه ومِنْ أَجْلِهَا أُحِبُ
الصِبَّا وأُحِبُ الحَنُونَ
تَهُبُ النَوَاسِمُ مِنْ أَرْضِهَا فَيَزْدادُ
نَارَ اشْتِيَاقي في لَهيبَا

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، 367.

فالشاعر في هذه الأبيات يبرز جمال (طيبة)، ومدى اشتياقه لهذه الأرض الطيبة، و(طيبة) هو اسم من أسماء المدينة المنورة، التي هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وباقي المهاجرين الفارين بدينهم وحياتهم من بطش قريش. وهي ثاني أكبر المدن قدسية بالنسبة للمسلمين بعد مكة المكرمة، وقبل القدس في فلسطين. وعلى هذا فإن الشاعر يشتاق إلى مكان مقدس عاش فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودفن هناك. وقد احتضنت طيبة أهم الأحداث الإسلامية العظيمة التي وقعت زمن بعثة النبي، لذلك فهي تحظى بمكانة خاصة وجليلة. فالشاعر "أبو حمو موسى" مرتبط بكل ما له صلة بالرسول. فذكر مدينة طيبة على اعتبار أنها مكان عام يقصده الناس من كل فج عميق. تحتوي طيبة على عدد سكان هائل تجمع بين أهلها المقيمين فيها منذ أزل، وكذا الوافدين من أرجاء المملكة العربية السعودية، وبعضها عمال فيها.

فطيبة التي هام الشاعر شغفا بها للوصول إليها، هي مكان يغدو إليه عدد كبير من الحجاج للحج والعمرة، خاصة في شهر رمضان الفضيل، يمكثون فيها على دفعات. فهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن طيبة مكان يحوي العامة، فعند قول الشاعر[1]:

إذا هبت الريح من طيبة تعطرت الأرض مسكا وطيبا

فهو يقصد مسك النبي في هذه الأرض الطيبة، إضافة إلى أنها تحتوي على المسجد النبوي الشريف، والذي شُيد وأُقيم في المكان الذي بَركت فيه ناقة النبي عندما جاء بها مهاجرا. كما يوجد في مدينة طيبة مسجد قباء. وعليه فإنّ هذا المكان العام تشُد إليه الرحال؛ لأنه يحوي العديد من المعالم الإسلامية أولها قبر النبي. فهي مدينة من شمالها إلى جنوبها طاهرة. فعلى

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص367.

سبيل المثال تقع في المدينة في شمال المسجد النبوي مقبرة شهداء أُحد، والتي تُعد من أهم المعالم الطبيعية والدينية في المدينة المنورة. وإذا ما أمعنا النظر في كل هذه المعالم الدينية التي تحويها، فهي مدينة عامة في المقام الأول، إضافة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو من أجاز أن تُشد الرحال إليها، مع المسجد الحرام بمكة، والمسجد الأقصى بفلسطين.

نستشف من خلال ما سبق أن طيبة معطرة بمسك النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وكذا عطر الصحابة رضوان الله عليهم. فشاعرنا يشتاق لطيبة شمالها وجنوبها، فهي أرض فيها ثرى النبي صلى الله عليه وسلم. ومن خلال هذا المكان ـ طيبة ـ يتبين لنا أنها مكان عام يقصده عدد هائل من الناس والمسلمين خاصة، ويلجؤون إليه للصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام.

انطلاقا من هذا نستنتج أن طيبة من الأماكن العامة والأرض الطاهرة المعطرة بمسجد نبوي، قبلة لكل مسلم ومسلمة. فالشاعر لشدة حبه وشغفه لنبي، اختار هذا المكان الذي يقصدونه في موسم الحج من كل فج عميق لعل وعسى أن تتحقق أمانيه للوصول إلى هذا المكان الشريف، الزكي، الطاهر، الذي يحوي قبر شفيع الأمة عليه الصلاة والسلام. فالشاعر لو كان له قدرة لما ترك هذا المكان الطيب، فهو يحظى بمكانة خاصة في فؤاده، ولولا الخلافة التي تقيده لكان مستقره في (طيبة)، من شدة الحنين والشوق للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا شيء يطفئ لهيب هذا الشوق إلى الوصول للديار الشريفة، ويظل هذا المكان العام أمنية لكل من يحمل في قلبه حب خالص لشفيع الأمة.

ب ـ الأمكنة الخاصة

ـ الغار

كما أسلفنا الذكر فالمكان الخاص هو الذي يخص الفرد وحده، فقط تجلت الأمكنة الخاصة في مولديات "أبو حمو موسى" في القصيدة الموسومة ب" قفا خبراني" في قوله[1]:

لـه آيَة في الغَارِ حِينَ اسْتَنَارَهُ عَنْ
أَعْيُنَهُم بالعَنْكَبَوتِ النَوَاسِجِ

يقصد الشاعر في هذا البيت (غار حراء) وما لهذا الأخير من منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم، فهو مكان كان يقصده النبي بعيدا عن انشغالات الناس في العصر الجاهلي، الذين دب فيهم الجهل إلى النخاع، فهاجر من مكة إلى المدينة، واختار النبي لنفسه هذا الغار للتعبد، وهو غار يقع على يسار قمة جبل النور الذي يقع بدوره في شمال شرق مكة، وكان النبي يتردد عليه باستمرار.

فالشاعر هنا يذكرنا بقدسية هذا المكان الذي تعبد فيه، إضافة إلى خصوصيته، فهو المكان الذي أنزل فيه الوحي على النبي المصطفى، فكان متصل بربه ومتفرع للعبادة فيه، إلى أن أنزل عليه الملك جبريل الوحي، وهذا ما ذكره الشاعر في بيته.

يعدّ هذا الغار آية النبي عندما لحق به مشركوا قريش ليؤذونه، فنسجت العنكبوت على باب الغار نسيجها بأمر من الله تعالى، وكانت هناك حمامتان في الباب، فدخل الريب للمشركين وهم حيارى؛ إذ كيف للنبي أن يدخل هذا الغار ونسيج العنكبوت سليم، فكانت آية للناظرين، وهذا ما ذكره الشاعر في بيت القصيد.

ومنه نخلص إلى أن (غار حراء) هو مكان خاص ومكان مقدس تعبد فيه النبي واتصل بربه، فنزل عليه الوحي في هذا المكان، وبهذا فهو مكان يخص كل ما له صلة بالنبي عليه الصلاة والسلام، فكلمة غار عند الشاعر خص بها النبي ـ صلى الله

1- - المرجع السابق، ص376.

عليه وسلم ـ ليبين مكانة النبي المصطفى عند ربه بأمر العنكبوت بنسيج يحميه من بطش المشركين ومنه نستنتج أن المكان الخاص المتمثل في غار حراء هو مكان خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم.

ـ قباء

ورد مكان خاص في مولدية "أبو حمو موسى الزياني" الموسومة ب"هوينا الظبا" يقول[1]:

فَيَا أَهْلَ وَدِي لَقَدْ زَادَ وَجْدي إلى أَهْلِ نَجْد وأَهْل قُبَاء

تجلى المكان هنا في كلمة (قباء)، فالشاعر اشتد وجده وحنينه لأهل قباء. هذا المكان الذي وضع الرسول صلى الله عليه وسلم حجر أساسه بالمدينة المنورة، وهو أول مسجد بني في الإسلام، فهو خاص بالمسلمين. وإن ذكر الشاعر خصوصا لأهل قباء إنما يدل على مكانة هذا المكان الخاصة لديه صلى الله عليه وسلم. فهو يحن لكل ما مر به النبي المصطفى ولهذا المكان – قباء – الفضل العظيم، وهو من قال فيه النبي: "من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، وصلى فيه، كان له كأجر عمرة"[2].

وهذا يعني أن الصلاة فيه كأجر عمرة، ويسوقنا الحديث عن أهمية هذا المكان لدى النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يأتيه راكبا، أو ماشيا، كل يوم سبت، فيصلي فيه ركعتين. فلهذا المكان الطاهر خلفية دينية تنم عن ارتباط النبي به.

فأبو حمو موسى الزياني في هذا البيت من القصيد يخص أهل قبا بالوجد والشوق وهذا دليل على مكانة قباء وأهلها عند الله ورسوله الكريم وأهم من ورد ذكرهم في آية من القرآن الكريم يقول عز وجل: (لا تقم فيه أبدًا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال

---

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص359.

2 - سهل بن حنيف، المحدّث الألباني، صحيح ابن ماجة، رقم الحديث: 1168.

يُحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين) - [التوبة/108] .

وقد نزلت هذه الآية لأن أهل قباء كان يسبحون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم لأنهم كانوا يتطهرون فنزلت فيهم هذه الآية وهذا خير دليل على مكانة أهل قباء عند المولى عز وجل ورسوله الكريم، فأبو حمو موسى من خلال بيت القصيد يوليهم مكانة خاصة وشوق وحنين إلى مسجد المسلمين، فهو مكان مميز عند النبي صلى الله عليه وسلم، فالشاعر حُرِكت شجونه لوعة الوجد لأهل قباء هذا المكان الطاهر الزكي الذي نزلت آية في أهله ومنه نستشف القول أن أبا حمو موسى أورد مكان خاص تمثل في أهل قباء لما يحمله هذا الأخير من مرجعية دينية ومكانة خاصة، لله عز وجل ورسوله الكريم.

4 - أمكنة طبيعية

تجلت الأمكنة الطبيعية في مولديات أبي حمو موسى الزياني وبالضبط في قصيدة "قفا خبراني".

أ – الفيافي

يقصد بالفيافي الصحراء، فهي مظهر من مظاهر الجمال الكوني الرائع، سماء أرضية تختصر الجمال والبهاء في الليل وفي النهار لا نفاق ولا بغض فيها، وقد كان المكان الجغرافي مدعاة لاستحضار الماضي والتأمل في الحاضر، كما نجد أنه كثيراً ما بدأ أبو حمو موسى في البعض من مولدياته بالبكاء على الأطلال، لكن نجده في البعض الآخر يقترب من وصف الرحلة كما هو موضح في مولدية" قفا خبراني" وهي رحلة من أجل الذهاب إلى البقاع المقدسة وزيارة قبر رسول صلى الله عليه وسلم، حيث كانت الأمنية الكبرى لكل مسلم هي زيارة قبر الرسول والتعطر بأريجه والتعبد في جواره، كما قد أحسن شعراء المولديات بوصف مشهد الرحلة وصفا دقيقا في قصائدهم كما هو الحال واضح في مولدية "قفا خبراني" "لأبو حمو موسى الزياني"، ومن بين ما

يتحدثون عنه في هذه الرحلة نجد الفيافي التي يقصد بها الصحراء؛ حيث نجدهم عند رحلتهم يمرون على الصحراء ثم الديار الحجازية وصولا إلى البقاع المقدسة لزيارة ضريح خلق الأنام وأداء فريضة الحج، واصفا كذلك البعد والتعب أثناء الرحلة، فحديث الشاعر عن الرحلة في مولدياته أي أنه يبين لنا نقطة الانطلاق من العالم الممزوج بالنفاق والبغض، إلى عالم كله طهر وصفاء.

ويمكن أن نقول بأن الشاعر تحدث عن الرحلة من أجل أن يحرك العواطف الدينية الجياشة الموجودة في قلب كل مسلم حيث يقول[1]:

وَجُوبَا الفَيَافِي والمَهَامَة واسْتَعِن عَلى قَطْعِ أَسْبَاب النَوى باللَوَاعِج

فأبو حمو موسى يبين في هذا البيت بأنهم مروا على الصحراء الشاسعة وبالرغم من البعد إلا أن شوقهم إلى البقاع المقدسة وزيارة الرسول والهوى الذي كان لا يفارق فؤادهم تغلب على البعد.

كما يمكننا القول بأن الصحراء تعبر عن الحالة النفسية "لأبي حمو موسى الزياني"، حيث نجده عانى البعد لانشغاله بالخلافة، ودل على نفسه من خلال ذكره للفيافي فهو متعطش ومتشوق للبقيع كما هو الحال لأهل الصحراء.

استحضر الشاعر الألفاظ الدالة على الرحلة والتنقل من مكان تواجده إلى المكان الذي يصبو إلى بلوغه، وهو المكان الذي يتواجد فيه المحبوب رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، فالرحلة في القصيدة المولدية ليست الرحلة التي نعرفها، هي رحلة الانتقال من العالم المملوء بالمعاصي إلى العالم النقي الصافي من الآثام.

ب - البحر

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص375.

يعد البحر من الأمكنة الطبيعية الساحرة، وتطلق هذه كلمة على كل تجمع كبير للمياه المالحة، كما يشغل مساحة كبيرة من سطح الأرض أكبر مما تشغله اليابسة. ويمكن أن يكون هذا الأخير محاطا بالأرض من جميع الجوانب، فهو موطن للعديد من الكائنات والحيوانات، تتمثل حركته في المد والجزر. وعامة ما يختلف لون البحر من أسود وأخضر وأزرق، ولكن اللون المسيطر هو الأزرق، كما قد يبدو لنا رماديا أو أخضر ويرجع هذا الأخير إلى وجود طحالب في المياه.

وقد وردت هذه الكلمة في مولدية "أبي حمو موسى الزياني"، فهو المكان الذي يقصده الناس للسباحة والصيد البحري والتسلية، كما يعد من الأمور المهمة بالنسبة للإنسان فهو مصدر قوة الصيادين، فقد وظف "أبو حمو موسى" كلمة البحر دلالة على أنّه مصدر للعطاء، تجمعه بالشاعر علاقة قوية، يمكن وصفها بالعلاقة الحميمة.

فالإنسان في حاجة كبيرة للبحر، حيث يعد هذا الأخير بالنسبة للإنسان عشق أو حياة أو حرية وأمل، فهو مكان طبيعي، ورمز للسخاء والكرم والعطاء، فقد رافق البشرية منذ انبثاق الحياة، كما يعد البحر من المجالات التي تساعد في تقدم الحضارة الإنسانية؛ حيث اخترع الإنسان السفن للصيد وللذهاب إلى ما هو موجود وراء هذا العالم الفسيح (البحر).

وقد وظف "أبو حمو موسى" كلمة البحر دلالة على أنه رمز للجمال والعطاء والثراء لما يحتويه من أسماك، وحيوانات بحرية، وبترول، ومعادن ثمينة، وما ينتج عن حركات المد والجزر، من إقامة السدود، وبذلك ظهور مصادر جديدة للطاقة، كما يساهم البحر في ارتفاع اقتصاد الدول، فهو ممر التجار لنقل تجارتهم وتجارة العالم، وأكثر من هذا فقد نقلوا عبره دينهم وثقافتهم وأدبهم.

لقد نشأ العرب وعاشوا في شبه جزيرة تحيط بها مياه البحار من ثلاثة جوانب جنوبا وشرقا،

كما لا يمكن تجاهل أن البحر يتميز بسلبيات وايجابيات في وقت واحد.

والبحر كمكان طبيعي ممتع وساحر، ومصدر رزق ووسيلة تجارة عبر الزمان، فعندما نقول كلمة (بحر) يراودنا ذلك الشعور بالحنين والهدوء والراحة، فهو المكان والصديق الوفي الذي نشكي له همومنا بكل أريحية، حيث أصبح من الصعب التخلي عن البحر، وكذلك يصعب على البحر التخلي عن الإنسان، وهذا ناتج عن رصانة وقوة العلاقة بين هاتين الاثنين، فعند رؤية البحر مباشرة ومن خلال لونه الأزرق يبعث فينا نوع من الأمل وحب الحياة والتفاؤل والسعادة، إضافة على هذا، فالبحر ليس مصدرا للرزق فقط، بل كذلك هو الملاذ الذي يلجئ إليه الإنسان هروبا من الأزمات العاطفية، والوقوف بكل قوة وإرادة، فهو المكان الذي لعل يجد فيه الإنسان ما فقده، حيث يقول "غاستون باشلار" «المكان الفسيح هو صديق الوجود"[1].

كما يعد من الأمكنة الملهمة للمبدعين والاستمتاع بزرقته الجذابة اللامتناهية، ولا يمكن أن نتحدث عن الجمال بغياب الماء، فكل مكان يتواجد فيه الماء هو مكان غني بالدلالات، فحركة أمواج البحر الصافية يوحي بالتجديد، والأمل والحنين إلى مستقبل مليء بالفرح والسرور، فهو بمثابة الباعث للحياة.

هذا وقد تجلت كلمة (البحر) في مولدية أبي حمو موسى "قفا خبراني" ليبين لنا كرمه وسخائه وكيف عاد عليه هذا المكان بالإيجاب حيث يقول[2]:

ومن نهر ماء قد جرى من بنانه
وبحر عطاء بالندى متماوج

غزا الإنسان البحر من أجل كشف المجهول والغوص في القاع، وبالرغم من كل هذه المحاسن

1 - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، (حكاية بحار- الدقل - المرفأ البعيد) دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، 2011، ص119.
2 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص376.

الموجودة في البحر، إلا أنه كذلك فنزول ماء البحر ماء مميزات عديدة، ليس فقط للحصول على الاسترخاء والاستمتاع، وإنما يكسب الجسم فوائد صحية وجمالية عديدة، منها زيادة المناعة لأنه يحتوي على عناصر حيوية وأملاح معدنية وأحماض أمينية، فعلاقة الإنسان بالبحر هي علاقة قوة وضعف.

فبالرغم من أنه رمز للسخاء والعطاء، إلا أنه رمز للغدر والخيانة، فعند الذهاب إلى البحر نقف نتأمل ذلك الجمال الرباني، حيث يظهر للإنسان أن كل الأمور على ما يرام والأجواء توحي بالأمان والطمأنينة، فيهرول الإنسان إلى وسط البحر بكل ثقة وبعدها يصدم بذلك الصديق الذي أظهر له في الأول الصدق والوفاء، ليتحول إلى عدو خائن، وغدار. هنا يفقد الإنسان القوة ويشعر بجبروت البحر، والدمار والهلاك، مصطدما بتلك الأسماك التي ستجعله فريسة تتغذى عليها بعد ما كان موقنا بأنها مصدر رزق. فهو عالم غامض ومظلم، يوهم الإنسان بالأمان، ثم يدفعه إلى الدمار والهلاك، غاص في أعماقه فجعله يتذوق لوعة الفراق، لا يتصف بالكرم والسخاء فقط، بل بالهلاك والغدر، فالركوب في القوارب هو ركوب المخاطر والتوجه نحو حتمية الموت، بما فيها من مصارعة العواصف والأمواج العاتية. فدلالات البحر متعددة منها الخوف، التوتر، القلق، السيطرة، كما يتصف بالهيجان وسلب الأرواح، فلا يمكن للإنسان مواجهة قوته وجبروته، حيث تظهر لنا حركته في الأول على أنها تبعث على التجدد والحيوية في حين أنها تبعث بالإنسان إلى الموت.

ج - العقيق

"العقيق"، هو وادي من أشهر الأودية في المدينة المنورة، اكتسب هذه الشهرة لارتباطه بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا الوادي ارتباط وثيق بتاريخ المدينة المنورة، حيث كان

في بعض العصور أشبه بنهر دائم الجريان. فقد ورد في الأحاديث بأن العقيق واد مبارك، وقد فرشت أرض المسجد النبوي في عهد عمر بن الخطاب بحصى ناعمة من أرض العقيق. وقد جاء ذكر (العقيق) في مولدية "أبي حمو موسى الزياني" التي مطلعها "ذرفت لتذكار العقيق دموعي". فهو من الأمكنة الطبيعية الساحرة ذات الجمال الرباني الساحر كما ورد في مولدية "أبي حمو موسى الزياني "حيث يقول[1]:

ذَرَفْتُ لتِذْكَارِ العَقيْقِ دُموعِي وإزْدَد شَوْقِي لِلْحَمَى ووُلُوعِي
و الحُبُ شَبَّ أَوْرَاهُ بَضُلُوعي مِنْ لِي بِشَمْلِ بالحَمَى مَجْمُوع
ويُجْبَرُ قَلْبٌ بالنَوَى مَصْدُوعُ

فالشاعر في هذه الأبيات يشكي حرقته وألمه الذي مزق أنفاسه نتيجة بعد الحبيب والشوق إلى رؤيته، فقد اتسمت هذه المقدمات بالحشمة والوقار لأن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي وجب أن يكون متأدب ومحتشم، لأن هذا الكلام موجه لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ارتكزت مولدية أبي حمو موسى الزياني" ذرفت لتذكار العقيق دموعي" على الجمال الطبيعي مناقضة بذلك عالم الطبيعة الصاخب، فوادي العقيق من الرموز الشعرية التي ترتبط بالجمال الكوني، كما يُعد مكان طبيعي مفتوح على كل من المدن والأنهار والسهول والبحار، التي توحي إلى الألفة، وما يزيد وادي العقيق جمالا هي تلك الأعشاب والأشجار والزهور المتفتحة من حوله في فصل الربيع، حيث نجد الإنسان يذهب إلى البحر من أجل التأمل في جمال سحره، فالأمل مقترن بالوادي.

يعطي الوادي المحبة والطمأنينة فصل الربيع عكس ما نجده يتصف بالهيجان في فصل الشتاء

1 - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى حياته وأثاره، مرجع سابق، ص355.

نتيجة كثرة الأمطار والغيوم والرعود والعواصف، في فصل الشتاء، فالوادي قادر معايشة جميع أصناف الناس الحميدة أو القبيحة، كما يمكننا القول بأنّ الصفات التي يتصف بها الوادي فصل الشتاء، والربيع، والصيف، تنطبق عن الحالة النفسية للإنسان. فأحيانا يكون سعيدا وأحيانا حزينا وغير عادل. وأحيانا أخرى هادئا وساكنا، أو يمكن أن نقول إنّ الفصول تؤثر في النهر كما تؤثر الأزمات والضغوطات في حياة الإنسان.

خاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب الشعر الزياني، وأخص بالذكر موضوعنا :
جماليات المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني، وبعد الدراسة والتحليل خلصنا إلى النتائج الآتية :
-أن الشعر الزياني جزء من التراث الأدبي العريق الذي يتطلب منا اهتماما ودراسة،وقد عكست الفترة الزيانية من خلال هذه الدراسة أزهى فتراتها تاريخيا وسياسيا وثقافيا، خاصة في فن المولديات في عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى، الذي استمر بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف طيلة أيام دولته بصورة رائعة.
-ومن خلال تناولنا لموضوع فن المولديات في العهد الزياني، فقد قادتنا هذه الدراسة إلى اكتشاف مواضع الجمالية المكانية في قصائد مولديات أبي حمو موسى الثاني.
-كما توصلنا من خلال بحثنا إلى إبراز مدى أهمية هذا الفن المولدي الذي ذاع سيطهأيام حكم السلطان أبي حمو موسى الزياني، على اعتبار أن هذا الموضوع لم يدرس سابقا في حدود علما، خاصة في جانب جمالية المكان لهذا الفن في البلاط الزياني.
- كما تجلت لنا صورة النبي صلى الله عليه وسلم في شعر مولديات أبو حمو موسى الثاني، الذي يستعرض فيها عظمته وفضله على الأمة بارزة بشكل جلي في مولدياته.
-وتمحورت هذه الدراسة كذلك حول الأبعاد الجمالية التي دل عليها المكان في شعر المولديات والتي حملت في طياتها الأثر الواضح على حياة الشاعر الزياني.

بيان قيمة المكان كعنصر فني ومصدر مهم في إلهام الشعراء الزيانيين وعلى رأسهم أبو حمو موسى الثاني .
-كما أخذت الأماكن المقدسة الحظ الأوفر في هذه الدراسة وحملت بعدا وجدانيا ونفسيا عند الشاعر الزياني، من خلال استحضار تلك الأمكنة واظهار الشوق لها في معظم القصائد المولدية التي تناولناها بالدراسة.

وتظل هناك نتائج أخرى تركنا استكشافها للمتلقي الذي قد يضيف إليها ما فاتنا نسيانا أو جهلا منا،أو تلك التي لم ننفض عنها غبار البحث بعد،والتي يمكن أن تعالج في موضوعات مستقلة وأكثر تفصيلا مستقبلا.

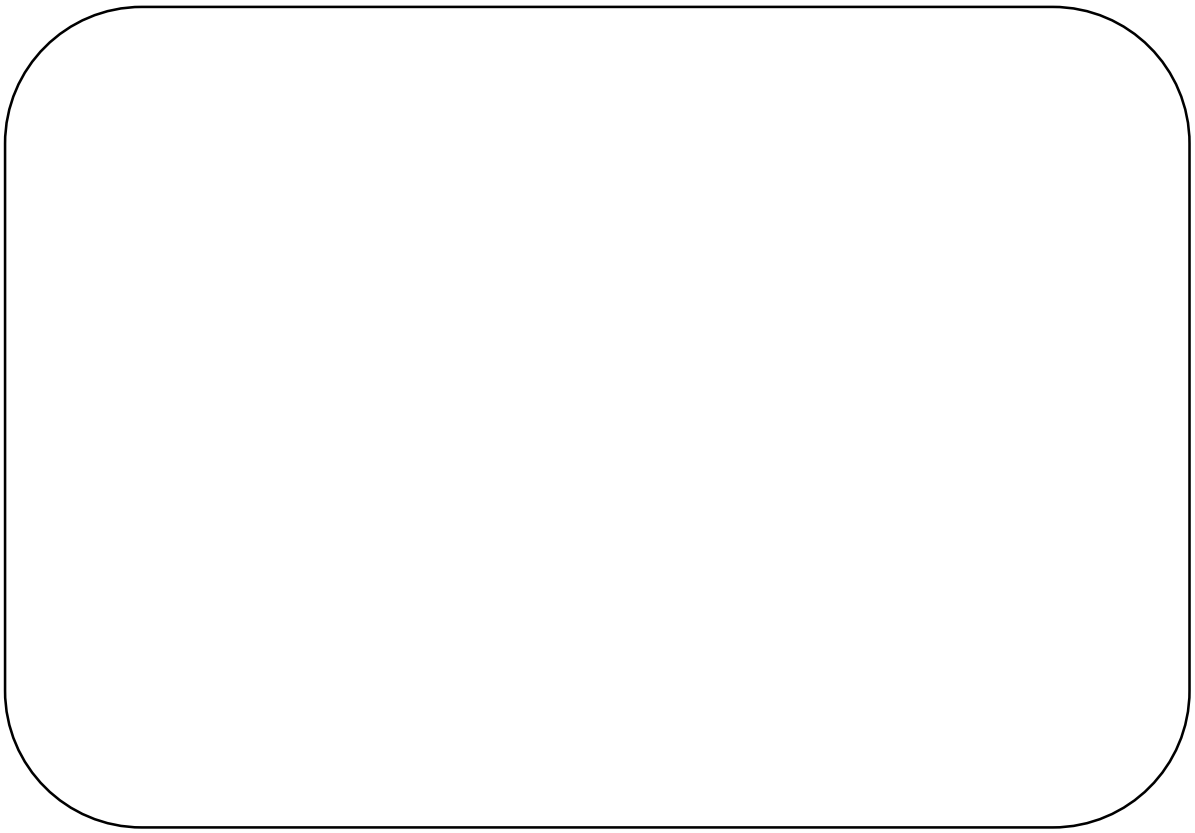

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المصادر

1. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1974.

المراجع

2. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط.
3. أبو العباس سيدي احمد بن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرجلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، لجزائر،1903.
4. امرؤ القيس، الديوان، تح: أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة ،ط4، 1984.
5. بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،دط، الجزائر.
6. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1981.
7. حبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، دط، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية ،2011.
8. حسن السندوبي، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة للنشر والتوزيع، القاهرة ،ط1، 1948.

9. خميس رضا، خصائص البناء في الشعر المولدي عند أبي حمو موسى الثاني الزياني، دط، منشورات دار الأديب.
10. زكي مبارك، المدائح النبوية، دط، دار المحجة البيضاء.
11. طاهر بوزياني، التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة الجزائر، 2004.
12. عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، دط، دار الأمة للطباعة والنشر، 2009.
13. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، 2007.
14. غازي الشيب، من المديح النبوي في العصر المملوكي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1998.
15. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط.
16. محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زياندط، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب،1985.
17. محمد زلاقي، بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر،دط،2013.
18. محمد عبد الرحمن مرحباء، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1987.
19. محمود علي مكي، المدائح النبوية، دار نوبار للطباعة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر_ لونجمان _ ط1، 1991.
20. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار _ الدقل _ المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة،دط، دمشق2011.

21. هديل بسام زكارنة، المدخل إلى علم الجمال، المعهد الدبلوماسي الأردني،دط، 1993.
22. يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، دط، 1980.

المعاجم

23. ابن منظور،لسان العرب،ط3، دار إحياء التراث العربي ،بيروت لبنان، 1999.
24. الزمخشري، أساس البلاغة، تج محمود فهمي حجازي، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط1، دت.

المذكرات والرسائل الجامعية

25. أمينة فرواني، المديح النبوي في الشعر المغربي القديم قراءة في نماذج منه، تقرير بحثي لنيل شهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان،2013 ـ 2014.
26. برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الثاني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2009 - 2010.
27. بن زاوي كنزة، مولدية أبي حمو موسى الزياني،مذكرة لنيل شهادة الماستر،جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2014 - 2015.
28. جودي هنية، صورة المكان و دلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص أدب جزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012 ـ 2013.
29. خداوي أسماء، البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران (1)، أحمد بن بلة،2015-2016.
30. سهيلة بلعيدي، واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياني، (دراسة أسلوبية)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه العلوم، بسكرة، جامعة محمد خيضر، 2019_2020.
31. عبد الحق هتهوت، الشعر الجزائري القديم وأثره على الجوانب الحضارية في المغرب الإسلامي من القرن الثامن هجري إلى القرن العاشر هجري ـ مقاربة تاريخية وصفية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2018ـ 2019.
32. عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، نقلا عن اسماعيل زردومي، رسالة ماجستير مخطوط _الاستغاثة للأندلس، إشراف د العربي دحو، باتنة، 1994.
33. ماسيليا أونيس وكنزة بن بوط، قصيدة المديح النبوي في الشعر الجزائري المعاصر،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2018-2019.
34. مناخ أمينة، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في المدائح النبوية خلال العهد الزياني ـ ديوان الثغري التلمساني ـ مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة أم البواقي،1432 ـ 1433هـ.
35. نجوى كاتب، موليات الثغري دراسة فنية جمالية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة أم البواقي، 2010 ـ 2011.

5 - المجالات و الجرائد

36. حسيبة عميروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني،مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية،مجلد8، العدد1، جوان 2017.
37. الحسين يختار، الحياة الثقافية و العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، جريدة الخبر،26 فبراير2015 ELKHABAR. COM ., WWW
38. غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له ـ دراسة مفهوماتية، مجلة

أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 11، العدد 2، 2015.
39. كفايت الله همداني والدكتور حافظ محمد بادشاه، المديح النبوي عن شعراء العربية الباكستانيين، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب_ لاهور، باكستان، العدد: 25،2018.
40. مها عيساوي، أبو حمو موسى الزياني، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، تبسة، عدد:1، مارس2007.
41. هادي جلول، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها (ق8_9هـ/ 14_15م)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية قسم العلوم الإنسانية، العدد:19، جانفي 2018، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

ملخص:

تناولنا في مذكرتنا الموسومة بجماليات المكان في مولديات أبو حمو موسى الزياني، وهي دراسة وصفية تحليلية تهدف إلى دراسة جمالية المكان في النصوص الشعرية المولدية لأبي حمو، حاولنا من خلالها رصد مدى تجليات هذه الأمكنة في هذا الفن، وقد سعت هذه الدراسة للولوج إلى لب المكان و مدى تجلياتها في بعض القصائد المولدية، كما أبان هذا البحث عن قدرة الشاعر في توظيف الأمكنة في هذه القصائد، و قد عاشت الدولة الزيانية أزهى عصورها نتاجا لهذا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبيرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

Dans cette étude ,qui est taguée avec l ,esthétique du lieu dans les mawlids d,abu hamou musa al _zayani ,nous l,avons traité ,qui est une descriptive et analitique ,qui vise à étudier l, esthétique du lieu dans la poétique du mawlide ,certains des poémes des mawlids d,al _ masha,ir al_zayani abu hamo musa , comme cette recherche l,a montré sur la capacité du poéte à employer les lieux dans ces poémes

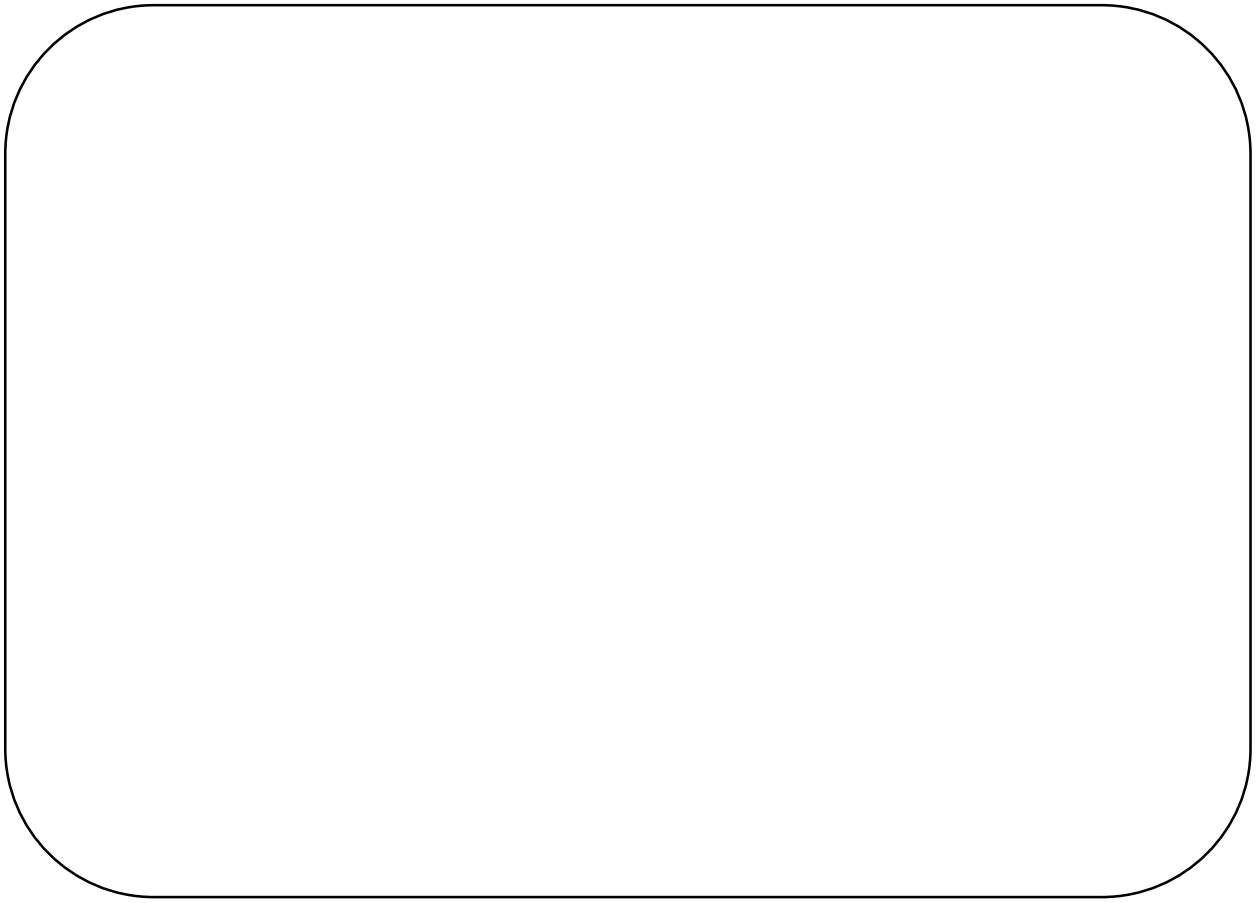

فهرس المحتويات

مقدمة.....ص (أ – د)
مدخل: السياق التاريخي والحضاري لدولة بني زيان.....ص 01
أولا= السياقات الحضارية لدولة بني زيان.....ص 02
1ـ السياق التاريخي.....ص 02
2ـ السياق السياسي.....ص 04
3ـ السياق الثقافي.....ص 04
ثانيا=أبو حمو موسى الزياني الثاني.....ص 09
1- أصله ونشأته .....ص 10
2- أدبه (شعر - نثر) .....ص 11
أ - نثره .....ص 12
ب - شعره .....ص 12
5- مؤلفاته .....ص 13
6- وفاته .....ص 14
الفصل الأول: المولديات في الأدب الزياني.....ص 15
أولا=ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.....ص 16
أ- في بلاد المشرق.....ص 17

ب_ في بلاد المغرب و الأندلس.....ص 18
ثانيا= فن المولديات في الأدب.....ص 24
1_ المولديات بين المديح و الرثاء.....ص 24
2_ مفهوم المولديات.....ص 26
أ_ لغة.....ص 26
ب _ اصطلاحا.....ص 27
3 _ رواد فن المولديات في أدب المغاربة.....ص 27
4 _ البناء الفني للقصيدة المولدية.....ص 30
أ - المقدمة بعناصرها الطللية و الغزلية.....ص 33
- الوقوف على الأطلال.....ص 34
- المقدمة الغزلية.....ص 35
ب- الموضوع الرئيس للقصيدة المولدية.....ص 37
- مدح الرسول (صلى الله عليه و سلم).....ص 37
- معجزات الرسول (صلى الله عليه و سلم).....ص 40
-مدح شهر ربيع الأول:.....ص 41
- الشوق إلى البقاع المقدسة.....ص 42
ج_ خاتمة القصيدة المولدية.....ص 43

- التوسل والتشفّع بالنبي الأكرم ص 43
- التحية النبوية ص 44
الفصل الثاني : جمالية المكان في مولديات أبي حمو موسى الزياني ص 46
أولا= الجمال و الجمالية المكاني ص 47
1ـ الجمال ص 47
أ ـ لغة ص 47
ب ـ اصطلاحا ص 48
2ـ المكان وأنواعه ص 49
أ-مفهوم المكان ص 49
ب ـ أنواع المكان ص 53
ـ ثانيا: تجليات المكان في مولديات أبو حمو موسى الزياني ص 54
1ـ الأمكنة المفتوحة ص 55
أ ـ نجد ص 55
ب ـ تلمسان ص 57
2ـ الأمكنة المغلقة ص 58
أ ـ القلب ص 58
ب. البيت ص 59
3ـ الأماكن العامة والخاصة ص 61

أ ـ الأمكنة العامة.....ص 61
ـ القبر.....ص 61
ـ طيبة.....ص 62
ب ـ الأمكنة الخاصة.....ص 64
ـ الغار.....ص 64
ـ قباء.....ص 65
4ـ أمكنة طبيعية.....ص 66
أ ـ الفيافي.....ص 67
ب- البحر.....ص 68
ج ـ العقيق.....ص 71
خاتمة.....ص 73
قائمة المصادر والمراجع.....ص 76
فهرس المحتويات.....ص 82

والحمد لله رب العالمين